نفحات القرب والاتصال

بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى بعد الانتقال

لشيخ الإسلام خاتم المحققين

شهاب الدين أحمد الحموى الحسينى

رضى الله تعالى عنه

ويليه فتويان في الموضوع نفسه للإمامين الجليلين

الشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ يوسف الدجوى

تقديم وتحقيق وتعليق

دكتور محمد سيد سلطان عبد الرحيم

جامعة الأزهر الشريف

نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف
لأولياء الله تعالى بعد الانتقال

لشيخ الإسلام خاتمة المحققين السيد الإمام
شهاب الدين أحمد الحموى الحسينى الحنفى
رضى الله تعالى عنه

ويليه فتويان فى الموضوع نفسه للإمامين الجليلين
والعلامتين المحققين الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى
والشيخ يوسف بن نصر الدجوى
من أعضاء هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

تقديم وتحقيق وتعليق

دكتور / محمد سيد سلطان عبد الرحيم
جامعة الأزهر الشريف

الناشر
دار جوامع الكلم
١٧ ش الشيخ صالح الجعفري - الدراسة القاهرة
ت : ٥٨٩٨٠٢٩

القسم الأول
التقديم للرسالة

ويحتـــوي علي :

١) مقدمة الناشر.

٢) مقدمة التحقيق.

٣) الرسالة التى بين أيدينا وأهميتها.

٤) من مـعـانى قـولهم « أهل التـصـريف » ، « مـدد ياسيدى».

٥) ترجمة المؤلف.

٦) نسختا الكتاب.

٧) مضمون الرسالة ومنهج المؤلف.

٨) منهج التحقيق.

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين نصب لدينه من ذب عنه الرعاع ، وأزال بنور الحق ظلام الباطل ، وإن كاد لكثرة أهله يملأ البقاع ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين بلا نزاع سيدنا ومولانا محمد صاحب المعجزات الباهرات التى فاقت ضياء الشمس والقمر فى الشعاع ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المحجلين أولى الكرامات فى الحياة وبعد الممات وعلى التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان وعلى من خالف هوى النفس فرجع إلى الحق وما ارتاع .. آمين ..

أما بعد فإن أهل البدع فى هذا الزمان قد كثروا وتكلموا بفاسد الاعتقاد وأوهموا الجاهلين أنها أمور حقيقية فَضلُّوا وأَضلُّوا وباءوا من الله بالطرد والإبعاد ، وأكثر ما يقع ذلك منهم فى المجالس المظلمة بظلام الظلم وحب الدنيا والرياسة للقوم الجاهلين قَصْداً لصيدهم حطامها الفانى فبئس ما

قدمت لهم أنفسهم ، وبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا عالمين ، فمما تكلم به قوم رعاع وأَذَاعُوه فأورثهم الحرمان وسوء الابتداع إنكار كرامات الأولياء أحياء وأمواتا مع ثبوتها بالدليل النقلى والعقلى ، ومنها إنكار استجابة الدعاء من أولياء الله تعالى الصالحين فى الحياة وبعد الممات إلى غير ذلك من ضروب الهذيان .

ولذا قامت دار جوامع الكلم بطبع هذه الرسالة النافعة التى اشتملت على الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة ؛التماسا لإحقاق الحق وإبطال الباطل فى مسألة زلت فيها أقدام شيعة الباطل الذين أنكروا كرامة الأولياء فى حياتهم وبعد انتقالهم وحكموا بالكفر على من يعتقد ذلك . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ ، فلله در مؤلفها الذى بيّن سبيل الرشد لقارئها ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومضلات الأهواء والأفعال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على مولانا محمدو على آله وصحبه فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله العظيم ، ،

الناشر / دار جوامع الكلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله المتصف بصفات الكمال ، المنعوت بنعوت الجلال ، الذى علم ما كان وما يكون وما هو كائن فى الحال والمآل ، وحكم بالموت على كل ذى روح من مخلوقاته من سكان أرضه وسماواته ، فهو الذى عدل فى الآخرة بين برياته.

وأشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له، إله تحبب إلى عباده بنعمه وآلائه، وابتدأهم - سبحانه - بإحسانه العميم وعطائه، فعياذ بعزته - جل جلاله - أن يختم بالإساءة وقد بدأنا بالإحسان، فله سبحانه الحمد والشكر والنعمة والفضل والثناء والحسن الجميل .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الطيب الروح والجسد سيد ولد آدم وأفضل من قام وركع وسجد صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه خير القرون الذين

اهتدوا بهديه وما بدلوا تبديلا صلاة دائمة بدوام السموات والأرض إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها للحساب والعرض وسلم تسليما كثيراً .. ثم أما بعد ..

فمن الأمور التى أشيعت بين عامة الناس أن الميت إذا مات انقطعت صلته بالحياة، فمن باب أولى لا يصل إلى الحى منه انتفاع إذن لا فائدة فى زيارتهم، لأنهم هم مفتقرون إلينا وهذه الأقوال سردها الناس من واقع الخيال لا من واقع التحقيق العلمى المعقول والمنقول ؛ لأن الميت أعطى من الخصائص التى لم يعطها الحى فضلا عن أنه مات على حسن الخاتمة فهو منعم فى برزخه وفى روضه من رياض الجنة ، وهذا أيضا من الأمور التى لا يضمن عقباها الأحياء.

إدراك الأموات :

وقد ثبت بنصوص من السنة وإجماع الأمة الحياة ولوازمها لأهل القبور حتى من المشركين كما فى نداء أهل القليب - وهى البئر التى ألقى فيها المشركون بعد قتلهم فى بدر - وهذا مروى فى البخارى ومسلم - فضلاً عن المؤمنين ،

فضلا عن الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين فضلاً عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وبتلك الحياة يحس الميت بالنعيم والعذاب، وقد تواتر ذلك تواترا معنويا واتفق عليه أهل السنة والجماعة، وأنه بالروح والجسد.

وبتلك الحياة أيضا يفعل الأموات ويسمعون ويبصرون ويتكلمون ويتزاورون فيما بينهم ويستبشرون بزيارتهم، ويعلم الميت من حمله ومن غسله، ومن دلاّه في قبره كما ثبت في الحديث من رواية الإمام أحمد، وكذلك يسمع قرع نعال المشيعين إذا انصرفوا كما ثبت في حديث البخارى: «**إن الميت إذا دفن وتولي عنه أصحابه يسمع قرع نعالهم**».

وروى الخطيب وابن عساكر والبيهقى وابن أبى الدنيا: « **أن الميت يُسرّ بزيارة قبره والجلوس عنده ورد السلام عليه**» كما روى البيهقى: « **حسّنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم** » وروى الديلمى: « **إن الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه**

في بيته » أى يؤذيه ما يبلغه عن الأحياء وفى الألفاظ الواردة فى السلام على أهل القبور دلالة على ذلك نحو قول الزائر : « **السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر** » أخرجه الترمذى وحسنه.

وما ورد فى صحيح مسلم بلفظ : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين....** » فلولا صحة سماع الميت لم يكن لهذا الخطاب معنى.

وبالجملة فإن الأموات يعلمون بأعمال الأحياء وأحوالهم ويتأذون بما يبلغه عنهم من سوء ، ويدعون لفاعل الخير بالثبات ، ولفاعل الشر بالهداية والرجوع إلى الطاعة ، ويخرجون من قبورهم ويتنقلون حيث شاءوا ويظهرون فى صور متعددة ويتصرفون وتصدر منهم أعمال عظيمة بقدرة الله تعالى كما فى حديث ابن عدىّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قتل سيدنا جعفر بن أبى طالب قال : « **عرفت جعفراً في رفقة من الملائكة يبشرون أهل بيشة بالمطر** ».

وفى كتاب « الروح » لابن القيم فصول كثيرة فحواها « أنه قد تواترت الرؤى والروايات بأن لأهل القبور قدرة على التصرف بأقوى مما كانوا فى الحياة لتجرد الروح عن عوائق البدن » حتى قال « إن روحاً كروح أبى بكر الصديق رضى الله عنه تستطيع أن تهزم جيشا بأجمعه ».

وفى « إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء » و « اللمعة فى الأجوبة السبعة » المتعلقة بالأرواح و « تنوير الملك فى إمكان رؤية النبى والملك » وكلها للسيوطى ما فحواه : إنه مقطوع للأنبياء بأن لهم ولسائر الموتى جميع الإدراكات كالعلم والسماع والبصر والقدرة على الكلام والدعاء والاستغفار والانتقال إلى حيث يريدون، والقدرة على التصرف والترائى للأحياء وإذا كان قدر الأنبياء والصالحين والشهداء والصديقين لم يسقط عند ربهم بانتقالهم من دار العمل والتكليف إلى دار الجزاء والتشريف وثبتت حياتهم بأكمل وجوهها بنصوص السنة وإجماع الأمة ولهم قدرة على التصرف بالدعاء والوصية والشفاعة والاستغفار عند مولاهم فمن المكابرة إنكار ما تواتر من ظهورهم فى صور متعددة لمن

شاء الله أن يراهم أو يرونه .

ومما يدل على ذلك ما رواه ابن عبد البر وذكره العلامة ابن القيم فى كتاب الروح .. قال أبو عمرو : وروى هشام بن عمار عن صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنى عطاء الخراسانى قال حدثتنى ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت لما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأرسل إليه يسأله : ما خبره ؟ قال : أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملى ، قال : لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير قال : ثم أنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ فأغلق عليه بابه وطفق يبكى ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليه فأخبره فقال يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنى أحب الجمال وأحب أن أسودُ قومى . فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة . قالت فلما كان يوم

اليمامة خرج مع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه إلى مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا ، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال : أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حُلْم فتضيعه ، إنى لما قتلت أمس مرّ بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ، ومنزله فى أقصى الناس ، وعند خبائه فرس يَسْتَنّ فى طوله - أى يجول فى مربطه - وقد كفا على الدرع برمة ، وفوق البرمة رحل ، فأت خالداً فَمُرْهُ أن يبعث إلى درعى فيأخذها ، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعنى أبا بكر رضى الله عنه فقُلْ له : إن علىّ من الدين كذا وكذا وفُلاَن من رقيقى عتيق وفلان ، فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها ، وحدّث ابا بكر فأجاز وصيته ، قال : ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رضى الله عنه .

أ.هـ ماذكره أبو عمرو[1] .

قوة الأرواح بعد الانتقال من البدن :

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :« ومما ينبغى أن يعلم أن ما ذكرنا من شأن الروح يختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن هو دونها ، وأنت ترى أحكام الأرواح فى الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب تفارق الأرواح فى كيفياتها وقواها وإبطائها وإسراعها والمعاونة لها ، فللروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق بالله ماليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن وعوائقه ، فإذا كان هذا وهى محبوسة فى بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها ، وكانت فى أصل شأنها روحا عليّة

---

(١) وأخرجه الحاكم فى المستدرك بسند صحيح على شرط مسلم وأقره عليه الذهبى عن عطاء الخراسانى ج٣ / ٢٣٥ وقال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ورجح الهيثمى ان ابنة ثابت صحابية ج ٩ / ٣٢١ .

زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر .

وقد تواترت الرؤيا في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها مالا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والإثنين والعدد القليل ونحو ذلك ، وكم قد رئي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عَددهم وعُددهم وضعف المؤمنين وقلتهم ومن العجب أن أرواح المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينها أعظم مسافة وأبعدها فتتأقلم وتتعاوف فيعرف بعضها بعضا كأنه جليسه وعشيره فإذا رآه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته (١) .

شبهة وجوابها:

وما يهوش به الجهلاء المنكرون من نفي ابلسماع عن

---

(١) الروح ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

الموتى بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ يكفى فى بيان سوء فهمهم لمعنى الآية ما ذكره العلامة ابن القيم - وهو من الأئمة السلفيين - فى كتاب الرُّوح ص ٤٥ بقوله : « سياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعاً ينتفع به كما أن من فى القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعاً ينتفعون به ، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئا ألبتة . كيف وقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين كما فى حديث البخارى وأخبر فى الحديث المتفق عليه أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه ، وشرع السلام على الأموات المؤمنين بصيغة الخطاب للحاضر الذى يسمع وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام .

ثم يقول: وهذه الآية نظير قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ وقد يقال : نفى إسماع الصم مع نفى إسماع الموتى يدل على أن المراد عدم أهلية كل منهما للسماع وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان إسماعها ممتنعا بمنزلة خطاب الميت والأصم ،

وهذا حق ولكن لا ينفى إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان فى وقت ما فهذا غير الإسماع المنفى والله تعالى أعلم .

وحقيقة المعنى أنك لا تستطيع أن تسمع من لم يشأ الله أن يسمعه ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِير﴾ أى إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنذار الذى كلفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله إسماعه . ا . هـ . كلام ابن القيم .

وما قاله مطابق للسان العرب الذى نزل به القرآن الكريم ، فالمعنى ما أنت بمنقذ الكفار المعاندين لشبههم بأهل القبور فى قيام المانع من النجاة ، فمانع نجاة الكفار هو الإصرار على الكفر ، ومانع نجاة أهل القبور هو فوات زمن التوبة ومن جعل وجه الشبه هو السماع الحقيقى فقد استعجم لسانه ؛ لأن وجه الشبه لابد أن يتحقق فى طرفى التشبيه ، وسماع الأحياء حسا ليس منفيا عنهم ، فلا يتحقق وجه الشبه فيهم لو كان المراد هو السماع الحقيقى . والله تعالى أعلم وأحكم .

الوسائط أسباب ارتبطت بمسبباتها :

وإنك لتعجب غاية العجب ممن أنكر الوسائط مع أنها ليست إلا أسبابا ارتبط بها مسبباتها بحكم سنة الله تعالى في خلقه ، والتأثير والخلق والإيجاد لله وحده ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ وقد تقرر عقلا ونقلا أن توقف الممكنات بعضها على بعض لنقص فى الممكنات لا لعجز فى الفاعل - جل شأنه - وهذا مما كاد يكون بديهيا .

وكما جاز أن يتوسط حي فى قضاء مصلحة حى والفعل لله وحده يجوز أن تتوسط روح ميت فى قضاء مصلحة حى أو ميت ، والفعل لله وحده ، والأرواح باقية على الحياة ، وأفعالها فى عالم الملك إنما تظهر بواسطة البدن مادام حيا بالحياة الحيوانية ، فإذا مات وفقد الحياة الحيوانية بقيت نفسه وروحه على حياتها الملكوتية ، وتعلقت بجسمه تعلقا آخر على وجه آخر يعلمه الله تعالى كما دل عليه نعيم القبر وعذابه ، فإذا كان الفعل فى الواقع ونفس الأمر إنما هو للنفس والروح ، والجسم آلة يظهر به الفعل ، والروح باقية

خالدة ففعلها باق وتصرفها فى أفعالها لا يتغير إلا بعدم ظهور الأفعال بواسطة البدن .

فلا مانع عقلا أن يكون بعض أرواح الأولياء والصالحين بعد موت الأجساد سببا بدعائها وتوجهها إلى الله تعالى فى قضاء حوائج بعض الزائرين لهم .المتوسلين بهم بدون أن يكون لها مدخل فى التأثير ، وأى فرق بين التوسط بالأحياء فى قضاء الحوائج مع اعتقاد أن لا فاعل إلا الله ، وبين توسط أرواح الأموات مع اعتقاد ذلك .

والقول بأن ملوك الدنيا إنما يحتاجون إلى الوسائط لجواز الغفلة عليهم عن حوائج الخلق بخلاف العليم الخبير سفسطة ظاهرة وتمويهٌ على العقول فإن الملك ووسائطه واسطة فى قضاء حوائج الطالب من الله تعالى إذ لا فعال سواه ، فلو كان اتخاذ الواسطة شركا بعد اعتقاد أن المؤثر هو الله وحده لكان معاونة بعضنا لبعض فى قضاء المصالح شركا وهذا باطل بالضرورة لما يترتب عليه من بطلان الشرائع وفساد نظام العالم ، وعدم نسبة الأفعال الاختيارية إلى فاعلها فتبطل الحدود والزواجر ، ويختل النظام فعليك

بالإنصاف [1] .

كلام الإمام أبى حامد الغزالى فى المقصود من زيارة الأنبياء والأولياء :

قال : رضى الله تعالى عنه : والمقصود من زيارة الأنبياء والأولياء والأئمة الاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواحهم ، والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة ، وهذا يحصل من جهتين : الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من ذلك الجانب ، ولزيارة المشاهد أثر عظيم فى هذين الركنين ، أما الاستمداد فبانصراف همة صاحب الحاجة عن أموره العادية باستيلاء ذكر المزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة فى ذلك ، ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله ، وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمد روح المزور الطيبة ذلك الزائر بما يستمد منها . ا . هـ

المراد من كلام الغزالى :

وبعد فهذا كلام أهل العلم نقدمه إليكم معشر المسلمين لتحذروا الوقوع فى شرك الضالين المضلين فاسمعوا وعُوا ،

---

(١) مقدمة شفاء السقام للعلامة الشيخ محمد بخيت المطيعى ص ١٤،١٥ .

وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً ، وآمنوا بالله ورسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ، وإياكم أن تغتروا بزخرف القول الذى لا يقصد به وجه الله تعالى ، وإنما يقصد به إلقاء بذور الفساد فى عقائد العباد ودس الدسائس والفتن والتمويه على ضعفاء العقول فخذوا ما آتيناكم بقوه واذكروا ما فيه ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه الفقير إلى مولاه القدير

دكتور/محمد سيد سلطان عبد الرحيم

جامعة الأزهر الشريف

بني عدي في ربيع الأنور

سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

الرسالة التى بين أيدينا وأهميتها

تناولت هذه الرسالة موضوعا من المواضيع الشائكة جداً وهو إثبات التصرف لأولياء الله تعالى بعد الانتقال ، فلذلك حاولت السير فى تحقيقها بحذر معتمدا على توفيق الله تعالى

وهذه المسأله يحكم فيها من لا علم عنده بأطراف المسألة وبما قاله أهل العلم الراسخون بكفر من قال بذلك فى شأن الأولياء والصالحين وتصرفهم بعد الانتقال . وهذا من أعظم الخطر فالواجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى توبة نصوحا ولا يحكم بتكفير المسلمين بتأويلات باطله وحجج داحضة آفلة فهو آثم مرتين ..

الأولى : إثمه بتأويل القرآن برأيه الفاسد الذى لم يستند فيه لدليل شرعى تطمئن إليه النفس .

والثانية : إثمه بتكفير جميع المسلمين بفهمه القاصر السقيم، ومن المعلوم شرعا كما نص عليه الأئمة أن من أدخل ألف ملحد فى الإسلام بلفظ يحتمل الإسلام من

وجه واحد ويحتمل الكفر من وجه أقرب إلى الله تعالى ممن أخرج مسلما واحدا من الإسلام بلفظ يحتمل الكفر من وجوه ويحتمل الإسلام من وجه واحد.

إذ لا يجوز حمل المسلم على الارتداد بلفظ يحتمل الكفر إذا كان يحتمل الإسلام كما هو مقرر فى محله وقد أشار إلى ذلك العلامة الشيخ محمد العاقب فى نظم فتاوى المالكية لمجدد العلم بالقطر الشنقيطى العلامة سيدى عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوى الشنقيطى بقوله :

والارتداد لا عليه يحمل

لفظ له على سواه محمل

فمدخل ألفا من الملاحدة

أقرب من مخرج نفس واحده

وقد روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **أيما امري قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه** » وهو يؤيد ما قرره العلماء

المحققون هنا من منع تكفير المسلمين بنداء أصحاب القبور للسلام عليهم ، أو للتوسل بهم إلى الله تعالى إن كانوا أهل صلاح يجوز بمثلهم التوسل إلى الله تعالى كما إذا قال المنادى : لصاحب القبر الصالح يافلان أتوسل بك لله تعالى فى إنجاح مقاصدى الشرعية أى أتوجه بك لله تعالى فى ذلك ، فهذا ليس من الشرك فى شيء .

وحكم التوسل بغير الأنبياء فيه الخلاف واختار ابن عرفة المالكى جوازه واحتج على ذلك بسؤال عمر بالعباس فى قضية الاستسقاء ، قال الحطاب المالكى بعد نقل كلامه : وهذا كله توسل وهو غير قسم .

قال الشيخ حبيب الله الشنقيطى - رحمه الله تعالى - : وقد وافق ابن عرفة من متأخرى علماء المذاهب الأربعة الجم الغفير ، ولم يخالف فى ذلك إلا من لا يعتد بأقواله عند أهل السنة المطهرة ، أما المتقدمون فلا أعلم عنهم خلافا فى ذلك ، ولا فرق بين التوسل بالحى والتوسل بالميت ؛ لأنه فى الحالين توجه بعبد صالح إلى الله تعالى -، ولا تأثير للحى مع الله تعالى ولو دعا الله تعالى كما لا تأثير للميت أيضا . اهـ .

كلام الشيخ الشنقيطى[1].

وفى هذا المعنى يقول العارف بالله تعالى الشيخ عبد الصمد أحمد الحسينى السنان رضى الله تعالى عنه فى قصيدته التى أسماها : سهام الجلالة فى أفئدة أهل الضلالة

إذا استغاث بأهل الله منكرب
فلا يقال له أشركت بالله
وكيف يشرك عبد وهو معتقد
أن لا مؤثر فى شىء سوى الله
ولا يكفر أمى بمنطقه
إن أوهم النطق منه الشرك بالله
إذ الضمير سليم الاعتقاد إذا
فتشته لا ترى فيه سوى الله
والعجز عن صحة التعبير مغتفر
ولا يضر مع الإيمان بالله

---

(١) ومن أراد الاستزادة فليراجع الجزء الخامس من زاد المسلم فى الصفحات التالية : ٥٠ : ٥٣، ٨١، ٨٢ .

مع أننا سمعنا لفظة صدرت
من جاهل توهم الإشراك بالله
وإنما ذاك من إفك ابن تيمية
فى بعض ما سوّدت يُمْنَاهُ والله
هذا ومن لولى قال مبتهلا
يا سيدى مددًا أرجوك بالله
كمثل طالب إحسان يقول لذى
مروءة أعطنى مولاى لله
فكيف مع أنه لا فرق بينهما
لا يشركان معا فى الشرك بالله
وإن يقولوا سؤال الحى ليس به
بأس ولا يقتضى الإشراك بالله
قلنا كذاك سؤال الميت معتبر
لأن كلا بلا ريب سوى الله
والحى كالميت لا تأثير فى عمل
إليه يُعزى بل التأثير لله

وغاية الأمر أن الميت ليس يرى

أعماله غيرُ ذى حال مع الله

هذا مثال الذى يدعو الولىّ فقل

رغم الجهول به تغنم رضا الله

أو قل كعبد أتى عبد أيوسطه

فى حاجة عند بعض الخلق لله

وفى إجابة يعقوب بنيه لنا

على التوسط برهان من الله

وذاك حين أتوه قالين له

أيا أبانا لنا استغفر[1] لدى الله

---

(١) هذا إشارة إلي قوله تعالى في سورة يوسف الآية ٩٧ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

من معانى قولهم « أهل التصريف »

قال فضيلة الشيخ محمد زكى إبراهيم - رائد العشيرة المحمدية - وعضو مجمع البحوث الإسلاميه فى كتابه « أصول الأصول » تحت هذا العنوان :

ومما يلحق ضرورة باب الكرامات . ما يلغط به اللاغطون حول قولهم « أهل التصريف » فالقائلون : بأن فلانا من « أهل التصريف » مثلا :يريدون أنه من أهل الوجاهة عند الله تعالى والقبول لديه ، وأنه من أهل استجابة الدعاء :

سواء كان نطقا باللسان أو توجها بالقلب ، أو تحركا للإرادة وكنه الهمة ، فى حدود ما جاء فى الحديث القدسى الصحيح « **ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه** » وحديث « **من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين** » رواه الترمذى وذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب، وحديث « **رب أشعث أغبر ، ذي**

طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم علي الله لأبـره » رواه الحاكم وأبو نعيم فى الحلية وهو معنى قول السادة : « إن لله عباداً إذا أرادوا أراد » ترجمة لقوله تعالى ﴿ ادْعونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

فالمراد بالتصريف هنا ، هو تفضل الله تعالى على عبده بإيقاعه تعالى الأمر (كما سبق فى علمه القديم) على مراد عبده الظاهر بما يجيء فى دعائه القولى أو توجهه القلبى ، أو تحرك إرادته الروحية ، وذلك تنفيذا لترتيب الأسباب والمسببات ، على مقتضى ما فى اللوح وأم الكتاب

التصرف من الله تعالى ظاهراً و باطناً :

فليس العبد مصرفا شيئا من الله تعالى ولكن الله تعالى يتفضل فيصرف الأشياء كما هى فى علمه ، على مراد أوليائه وأحبائه ظاهراً فقط : تنفيذا لسبق إرادته فأهل التصريف يعنون بهم (أهل الفضل الإلهى) الذين يكرمهم الله تعالى بتحقيق مرادهم الظاهر ، وهو مراد الله تعالى الحقيقى الباطن

فيما يطلبونه من الكونيات ، سواء كان الطلب بالقول أو الفعل أو الهمة .

والهمة يعنى بها كثير من الصوفية : تحرك الإرادة الروحية التى يجعلها الله تعالى سببا عاديا من أسباب أنفعال الأكوان بقدرته تعالى ليحقق بها المطلوب لعباده الصالحين فى ظاهر الأمر ، على ما سبق فى العلم القديم ، فالمراد مراده والأمر أمره ، يجريه كما يشاء على يد من يشاء .

وبمعنى آخر أن الله تعالى يجعل عبده الصالح نفسه أداة من أدوات تنفيذ المراد الإلهى الأزلى ، الذى قد يظهر فى صورة مراد العبد البشرى ، فيما يراه الناس ومثل ذلك : أن سيدنا عيسى - عليه السلام - كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله تعالى ، وكان ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم وهو ليس إلا عبد أنعم الله تعالى عليه ، وليس له من الأمر شىء ككل عبد .

لكن الله تعالى جعل إرادة هذا العبد سببا عاديا فى سياق علمه ، وجعل هذا العبد أداة لتنفيذ سابق المراد الإلهى الذى انفعلت به إرادة العبد البشرية على مقتضى العلم القديم

ففاضت به من عالم الغيب إلى عالم الشهود هذا : ومن الكذب المخزى ، والبهتان الخرافى ، ومن ذرائع الكفر والشرك والزندقه أن يقال: إن وليا لله تعالى - مهما كان شأنه - يتصرف فى الكون كيف يشاء ، أو أن الله فوض الأمر إلى الولى الفلانى ليفعل مايشاء ، أو أن الله بعد أن خلق الكون سلمه للأولياء ليدبروه كما يشاءون .

فأفهم ذلك لئلا تخطئ أو تضل ، أو تتجنى أو تنحرف فتنجرف ، ولم تكن تعلم .

ومعنى قولهم : مدد ياسيدى :

والقائل : (مدد يا سيدى فلان) فهو : إما أنه يطلب المدد من الحى أو من الميت (مددا معنويا) مما وهبه الله من الأسرار والطاقات والمعارف والمقامات ، ومختلف العطايا الإلهية والهبات والبركات فطلب المدد من الحى معناه : طلب دعائه ، أو إرشاده ، وروحانيته وتوجيهه وتوجهه بشحنته وتربيته ، وبركة صلاحه وتقواه ، وسره مع الله تعالى وما هو من هذا السبيل التى أشرنا إلى بعضها وطلب المدد من

الميت طلبٌ من روحه الحى بخصائصه فى برزخه السامع المدرك الذى له ما يشاء عند ربه كما جاء تفضيل ذلك فى الكتاب والسنة .

فمعنى المدد هنا هو طلب التوسل به إلى الله تعالى والاستشفاع به إليه تعالى فى قضاء الحوائج ودفع الجوائح ، والتماس بركة مقامه عند الله تعالى والاستمداد من مدد الله تعالى وسره ﴿ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ وقد يحمل طالب المدد بمعنى طلب الدعاء من الروح فى عالم الطهر والنور وقد قرر ابن القيم فى كتابه (الروح) « أن للأرواح قوة وطاقة وقدرة لا يتصورها البشر ، حتى إن رُوحًا واحدة عظيمة تؤثر فى جيش كامل .

وطلب الدعاء أو الشفاعة من الحى أو روح الميت طلب عبودية هنا وهنا فهو مباح . فإن مبادىء الإسلام لا تعرف شيئا أن السائل إن طلب من الحى كان عبودية وإن طلب من الروح كان عبادة لها[1] . ا . هـ

---

(١) من كتاب أصول الأصول ص٢٤٥ وما بعدها .

الترجمة المؤلف

نسبه :

هو السيد أحمد بن محمد مكى أبو العباس شهاب الدين الحسينى الحموى الحنفى . حموى الأصل مصرى .

مدرس من علماء الحنفية المحققين ، كان مدرسا بالمدرسة السليمانية بالقاهرة ، وقد تولى منصب إفتاء الحنفية وشارك فى أنواع كثيرة من العلوم ، يدل على ذلك كثرة تصانيفه كما سيأتى .

شيوخه :

تلقى العلامة الحموى العلم على شيوخ كثيرين منهم الشيخ العلامة على الأجهورى ، والشيخ العلامة محمد بن علان والشيخ منصور الطوخى ، والشيخ أحمد البشبيشى ، والشيخ خليل اللقانى ، والشيخ ابن عيسى العلم الغزى وغيرهم كثير .

مؤلفاته :

صنف العلامة الحموى كتبا كثيرة ومؤلفات مفيدة فى شتى العلوم والمعارف مما يدل على طول باعه وتبحره فى كل فن ومن مؤلفاته العديدة :

١- غمز عيون البصائر فى شرح الأشباه والنظائر لابن نجيم .

٢- نفحات القرب والاتصال . وهى الرسالة التى بين يديك .

٣- الدر النفيس فى تبيان نسب الشافعى محمد بن إدريس - بدار الكتب المصرية .

٤- كشف الرمز عن خبايا الكنز - وهو فقه يبلغ أربعة أجزاء فى مكتبة الزيتونة .

٥- نثر الدر الثمين على شرح ملا مسكين . فى المكتبة الصادقية

٦- تذييل وتكميل لشرح البيقونية فى مصطلح الحديث - المكتبة الأزهرية .

٧- تلقيح الفكر - وهو شرح آخر للبيقونية أيضا .

٨- الدر الفريد فى بيان حكم التقليد - المكتبة الأزهرية

٩- شرح منظومة لابن الشحنة فى التوحيد - المكتبة الأزهرية .

١٠- النفحات المسكية فى صناعة الفروسية .

١١- درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق معانى الاستعارات فى البلاغه بدار الكتب .

١٢- ذيل دُرَر العبارات بدار الكتب .

١٣- الدر المنظوم فى فضل الروم.

١٤- فضائل سلاطين آل عثمان . فى المكتبة الأزهرية

١٥- سمط الفوائد وعقال المسائل الشوارد - فى الرياض ودار الكتب.

١٦- رسالة إتحاف الأذكياء بتحقيق عِصْمة الأنبياء بالمكتبة الأزهرية.

١٧- غمز عيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر .

١٨- إتحاف أرباب الدراية بفتح الهداية .

١٩- تحفة الأكياس فى تفسير ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ .

٢٠- تذهيب الصحيفة بنصرة الإمام أبى حنيفة .

٢١- التفسيرات الأحمدية فى بيان الآيات الشرعية .

٢٢- شرح كنز الدقائق للنسفى .

٢٣- بغية الأجلة بتحرير مسألة الأهلة .

٢٤- تعليق القلائد على منظومة العقائد .

٢٥- تلقيح الفكر شرح منظومة الأثر -فى الحديث .

٢٦- تنبيه الغبى على حكم كفاية الصبى .

٢٧- حاشية على الدرر والغرر لملا خسرو .

٢٨- حسن الابتهاج برؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم -ربه ليلة المعراج- .

٢٩- الروض الزاهر فيما يحتاج إليه المسافر .

٣٠- سمط الفوائد .

٣١- شرح كنز الدقائق.

٣٢- شفاء الغلة فى تحقيق مسألة المجعولة وحلة

٣٣- عقود الحسان فى قواعد مذهب النعمان .

٣٤- فرائد الدر والمرجان فى شرح عقود الحسان .

٣٥- قرة العيون بأنموذج الفنون.

٣٦- القول البديع فى حكم التبليغ.

٣٧- النفحات المكية .

٣٨- نسيم الروضة العطرة فى تحقيق أن المعرفة لا تدخل تحت النكرة .

وفاتـــه :

توفى إمام المحققين وعمدة المدققين وصاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة عام سنة ١٠٩٨هـ الموافق لعام ١٧٨٧م يراجع ترجمته - تاريخ الجبرتى الجزء الأول وإيضاح المكنون للبغدادى ج ١ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج٢ والأعلام لخير الدين الزركلى ج١ وهدية العارفين ج١ .

نسختا الرسالة :

عثرت دار جوامع الكلم على نسخة من هذه الرسالة بدارالكتب المصرية تحت رقم ٢٤١ ضمن مجموعة مخطوطة ٣٣٤ منها نسخة أخرى رقم ٤٢٥ ط مصر سنة ١٣١٨هـ ١٩٣٥م

وتبلغ هذه المخطوطة ثلاثا وعشرين صفحة من القطع المتوسط فى صفحة تسعة عشر سطراً فى كل سطر ثمانى كلمات تقريبا وهى مكتوبة بخط متوسط ولكنه واضح لمن يقرأ فيها .

وهى كاملة من أول صفحة الغلاف التى كتب عليها « **هذه الرسالة المسماة نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى بعد الانتقال** » تأليف الشيخ الإمام خاتمة المحققين السيد أحمد الحموى نفعنا الله به آمين .

أما الصفحة الأخيرة فقد ختمت بقول الناسخ رحمه الله تعالى .

« وكان الفراغ من نسخها يوم الخميس المبارك ١٣ ربيع ثانى سنة ١١٢٠هـ من الهجرة المنيفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام .

ملك الفقير إلى الله تعالى محمد المرحومى بلداً القاطن بمصر المحروسة غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين .

أما كاتبها فهو عرفه خطاب كما ذكر ذلك فى الصفحة التى قبل الصفحة الأخيرة ثم بعد نقل الرسالة وتهيئتها للتحقيق عثر أبناء الإمام الشيخ صالح الجعفرى ببلدة بنى عدى على نسخة مطبوعة فى ذيل « شفاء السقام فى زيارة خير الأنام » للإمام السبكى ومعها رسالة فى إثبات الكرامات للعلامة السجاعى ، ومعها جواب عن سؤال عن كرامات الأولياء للإمام الشوبرى وقد كتب العلامة الشيخ المحقق المدقق / محمد بخيت المطيعى مفتى مصر الأسبق ومن هيئة كبار العلماء ومن أعضاء المحكمة العليا الشرعية ـ رحمه الله تعالى ـ مقدمة لشفاء السقام عظيمة كبيرة وأسماها « تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد » سنة ١٣١٨هـ تبلغ عشرين صفحة .وقد نقلنا منها بعض المعلومات فى

المقدمة والتحقيق وهذه الكتب الثلاثة طبعت بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١٨هـ وهى موجودة فى مكتبة فضيلة الشيخ حسانين محمد مخلوف مفتى مصر الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء التى أوقفها أبناؤه بمكتبة الإمام صالح الجعفرى العامة ببنى عدى.

وهذه النسخة المطبوعة تقع فى سبع عشرة صفحة من القطع الصغير وبهامشها تعليقات شريفة وتقييدات منيفة معظمها منسوب للمؤلف وقد أثبتناها بذيل الصفحة تتميما للفائدة واقتضاء للأمانة العلمية وفى نهاية هذه النسخة يقول المؤلف : قد برزت هذه المجلة من العدم إلى الوجود بعون الله المحمود بعد أن ثقلت أطوارها فى مشيئة الأنظار وتكامل ميلادها فى مطارح الأفكار فى أوائل جمادى الثانية من شهور سنة ١٠٩١ « إحدى وتسعين وألف » أحسن الله تقضيها وبارك لنا فى التى تليها على يد مؤلفها ومقررها الفقير فى فنون الفضلاء، الحقير فى عيون النبلاء السيد أحمد ابن السيد محمد الحسينى الحنفى الحموى فسح الله فى مدة من كان سبب فى كتابته ، ورحم الله المؤلف ، والله أعلم

بالصواب وإلية المرجع والمآب .

مضمون الرسالة ومنهج المؤلف:

تناول المؤلف فى هذه الرسالة موضوع الكرامات للأولياء والصالحين والتصرف لهم بعد الموت فبدأ بالحديث عن سبب تأليف الرسالة ثم تحدث عن الولى وتعريفه الذى اصطلح عليه العلماء ووصفه .

ثم تناول الفرق بين خوارق العادات وبين الدليل على وقوع الكرامات من الكتاب والسنة ثم تحدث عن وقوع الكرامة بعد الموت وأدلة وقوعها نقلا وعقلا ورد على من أنكر وقوع الكرامة بعد الموت وأبطل زعم من نسب إنكار وقوع الكرامات بعد الانتقال إلى الإمام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه .

ثم تحدث عن تصرف الأولياء بعد الانتقال وبين المراد منه وأنه المراد به إجراء خوارق العادات بإذن الله تعالى بسببهم وليس خلقا ولا إيجاداً منهم وأن هذا لا يقصده

مسلم أبدا ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلا عن غيرهم .

ثم حذر من المجازفة بتكفير من يقول بتصرف الأولياء بإذن الله تعالى ورد على من أنكر الكرامة والتصرف للأولياء بعد الموت .

ثم بين أقسام الناس فى التصديق بالكرامات وأشار إلى ما يُعِين على التصديق بالكرامات .

ثم صحح مفهوم من أنكر الكرامة ونسب ذلك لبعض أهل السنة ثم بين تحقيق القول فى عالم المثال وتطور المولىَ عند السادة الصوفية وأدلتهم فى ذلك .

ثم ذكر فى الخاتمة موضوع الإخبار بالمغيبات عن طريق الكشف والإلهام وأن ذلك بإعلام الله تبارك وتعالى للأولياء والصالحين ، لأن الله تعالى يقوم فى آية الكرسى من سورة البقرة ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾ وأنهم أُعْلِموا بذلك ولم يَعْلَموا.

ثم ختم الرسالة بتحذير أهل العلم والإفتاء من الحكم بالكفر على مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو

كان فى كفره اختلاف .

والمؤلف فى كل ذلك يسوق الأدلة على كلامه من الكتاب والسنة وأدلة العقل ويستند إلى آراء الأئمة الراسخين فى هذا الشأن - فرضى الله تعالى عنه وأرضاه - وجزاه الله تعالى عن العلم والعلماء خير الجزاء وأوفاه .

منهج التحقيق :

أ) كان ضبط النص ضبطا مُحكمًا هو الغرض الرئيس عند تحقيق الرسالة .

ب) قمت بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع توضيح غريب اللفظ بإيجاز غير مخل .

ج) وضع عناوين جانبية توضح محتويات الرسالة حتى يسهل على القارئ الوصول إلى أى مسألة بيسر وسهولة

د) قابلت النسخة المخطوطة على المطبوعة وجعلت المطبوعة هى الأصل ؛ لأنها محققه وقد قرأها عالم من العلماء المحققين ومن أعضاء هيئة كبار العلماء وهو العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى مصر الأسبق .

هـ) ترجمنا للشخصيات التى تحتاج إلى ترجمة .

وقدمت للرسالة بمقدمة طويلة مهمة عن إدراك الأموات وقوتها بعد الانتقال من البدن مع تناول بعض الشبهات حول الموضوع وتفنيدها وذكر الوسائط وبيان أنها لا تخرج عن كونها سببا ارتبط بمسببه بحكم سنة الله فى خلقه كما تناولت فيها ما قاله الإمام أبو حامد الغزالى فى المقصود من زيارة الأنبياء والأولياء ، عليهم الصلاة والسلام - ورضى الله تعالى عنهم - ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة .

كما نقلت كلمة وجيزة عن تفسير قول الصوفية « أهل التصريف » وقولهم « مدد ياسيدى » من كلام العلامة المحقق المحدث الشيخ العارف بالله تعالى الأستاذ / محمد ذكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

كما بينت أهمية الرسالة ونقلت كلام العلماء فى التحذير من التكفير فيما يمكن أن يحمل على وجه حسن فى الشريعة ؛ لأن أخطر شىء شاع فى هذا الزمن هو المجازفة

فى الحكم بالكفر على شخص مسلم مصل مزك حاج منفق محب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولأصحابه ولأهل البيت الكرام وللأولياء الأعلام رضى الله تعالى عنهم أجمعين لمجرد نطقه بكلمة بريئة لا يقصد بها شركا ولا كفرا مع أن إمام الحرمين الشيخ الجوينى رحمه الله تعالى يقول : « لأن أدخل ألف كافر فى الإسلام بشبهة واحدة خير من أن أخرج واحداً من الإسلام بألف شبهة » .. نقل ذلك العلامة ابن عجيبة فى تفسيره « البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد » عن تفسيره لسورة البقرة .. والله تعالى أعلم وأحكم.

كما رأيت تتميما للفائدة وإزالة للشبهة أن نلحق بالرسالة فتوى شرعية فى إثبات الكرامات والوسائط والتصريف للأولياء أحياءً ومنتقلين للعلامة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية الأسبق المسجلة برقم ٤٣٦ من السجل رقم ٨ وكلمتين أخريين أولاهما فى التحذير من المجازفة بالتكفير والأخرى فى تصرف الأولياء للأستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى عضو هيئة كبار العلماء . وقد نشرت

الكلمة الأخيرة فى جريدة الأهرام بتاريخ ٩ يوليه سنة ١٩٢٣م وهى فتوى لسؤال وجه إليه فى هذا الموضوع .

هذا ما كان فى وسعى أن أعمله والله تعالى الموفق والهادى إلى سواء السبيل والمنصف يكفيه القليل والمعاند لا ينفعه الكثير .

القسم الثانى

١) الرسالة المحققة ـ ويليها

٢) فتوى الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى مفتى مصر الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف .

٣) كلمة فى التحذير من المجازفة بالتكفير للعلامة الشيخ يوسف بن نصر الدجوى عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف .

٤) فتوى فى تصريف الأولياء ـ أيضا للشيخ يوسف الدجوى ـ رضى الله عنه وأرضاه .

٥) الفهارس والمحتويات .

نفحات القرب والاتصال
بإثبات التصرف لأولياء اللّه بعد الانتقال

الشيخ الإمام خاتمة المحققين
السيد أحمد الحموى
نفعنا اللّه به
آمين

ما حوى العلم جميعا رجــلا

لا ولو مازجـــه ألف سنـــة

إنمـا العلـــم بعيـــد نيلـــه

فخذوا من كل شيء أحسنـه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف أولياءه بأنواع الكرامة ، ومتعهم بالنظر إلى وجهه فى دار المقامة ، فهم فى روضات الجنات يحبرون ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

قد تركوا زخارف الدنيا وأووْا من هجيرها إلى ظله

---

(١) يونس : ٦٢ .

قال الشيخ قاسم فى شرح الدر : إذا ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله تعالى فذلك الاعتقاد كفر» .

قال المؤلف الشيخ أحمد الحموى شارحاً هذه العبارة فى هامش الرسالة المطبوعة فى ذيل « شفاء السقام» للعلامة السبكى - رحمه الله تعالى - : قلت : إن الشخص لا يتصرف بنفسه ، بل بإيجاد قضاء الحاجة على يديه ، كما ورد فى حديث أخرجه أبو نعيم فى الحلية : إن الله تعالى يقول : يا جبريل اقض حاجة عبدى» وقال البغوى فى تفسير قوله تعالى « فالمدبرات أمرا » قال عبد الرحمن بن سابط : يدبر الأمر فى الدنيا أربعة : جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل - عليهم الصلاة والسلام - أما ميكائيل فوكل بالنبات ، وأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ملك الموت فوكل بقبض الأنفس ، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم . فعليه تصرف العبد بمعنى إيجاد الله الأمر على يديه =

فرحين بما آتاهم الله من فضله فهم المميزون عن غيرهم فى عالم الرفات ببقاء كراماتهم بعد الممات كما دل على ذلك إطلاق عبارات الأئمة الذين هم هداة الأمة ، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه وأكرم أصفيائه سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة ، وعلى آله وأصحابه ذوى النفوس القدسية والأخلاق الأنسية ، ما سطعت أنوار الكرامات لأوليائه بعد الممات .. وبعد

السبب الباعث على تأليف الرسالة

فقد جرى فى المجلس العالى ، مجمع المفاخر والمعالى ، مجلس سيد الوزراء حقاً ، المؤيد من السماء صدقاً ، الوزير الأعظم ، والدستور المفخم ،أكرم الوزراء ، وأعظم الكبراء ، كافل الديار المصرية والأقطار اليوسفية ، الوزيرعبد الرحمن(١) . باشا

= من غير أثر للعبد فيه ؛ لأنه لا تأثير للأشياء ، إنما التأثير لله تعالى خاصة غايته إذا أجرى الله تعالى على يديه خيرا يثيبه عليه فضلا منه ، وإذا أجرى على يده شرا يعذبه عليه عدلا منه ، فالحكم لله العلى الكبير .

(١) هو من ولاة الدولة العثمانية رقم ٦٩ قدم إلى مصر فى ربيع الثانى سنة ١٠٨٧ هـ واستمر واليا عليها إلى أن عزل فى شعبان سنة ١٠٩١ هـ فكانت مدة ولايته أربع سنوات .

بلغه الله فى الخيرات ما يشاء الكلام على كرامات الأولياء وأنها هل تنقطع بالموت وأن الأولياء هل لهم تصرف فى الحياة وبعد الممات فى البرزخ ؟ وأن من اعتقد ظهور الكرامة لهم بعد الموت هل يكفر ؟ وطلب منى ـ حفظه الله تعالى وحياه وكبت أعداءه ـ تحرير الكلام على ذلك والتقصى عما هنالك فأقول ـ وبالله الهداية إلى سواء السبيل ـ .

من هــو الولــى :

قال العلامة الثانى سعد الدين التفتازانى[1] : الولى هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات ، المجتنب عن المعاصى ، المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات .

الفرق بين خوارق العادات :

الكرامة : هى ظهور أمر خارق للعادة ، فما لا يكون

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى ولد بتفتازان عام ٧١٢ هـ وهو عالم مشارك فى النحو والتصريف والمعانى والبيان والفقه وغير ذلك ، وأخذ عن القطب والعضد ، وانتفع الناس بتصانيفه ، وتوفى بسمرقند سنة ٧٩١ هـ .

مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً ، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة ، وهى أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله(١) .

الدليل على وقوع الكرامة :

والدليل على حقيقة الكرامات : ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن الإنكار خصوصا الأمر المشترك ، وإن كانت الأحاديث دالة للتفاصيل آحادا ، وأيضا الكتاب ناطق بظهورها من مريم(٢) على القول

---

(١) شرح العقائد النسفية

(٢) يشير إلى ماذكره الله تعالى فى سورة مريم ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ حيث قال المفسرون : كان الوقت شتاء ولم إبان رطب ، وكان جذع النخلة جذع نخلة ميته فسقوط الرطب منها خارق للعادة لتشاهد بعينها كيف يثمر الجذع اليابس رطبا ، وفى ذلك كرامة لها بقوة يقينها بمرتبتها . ينظر تفسير سورة مريم فى تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور وتفسير ابن كثير .

وكرامة أخرى فى دخول سيدنا زكريا ـ عليه السلام ـ عليها المحراب وكلما دخل عليها وجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف كما ذكره المفسرون أيضا فى تفسير سورة آل عمران .

بأنهـا ولية لانبية وهو الصحيح ، ومن صاحب سليمان [١] صلوات الله وسلامه عليه وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز يعنى بدعوى أن الكرامة أمر ممكن ، وكل ممكن جائز الوقوع[٢].

ثم قال ـ بعد كلام ـ : والحاصل أن الأمر الخارق للعادة فهو بالنسبة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم معجزة سواء ظهر ذلك من قِبَله أو من قبل آحاد من أمته ، وبالنسبة إلى الولى كرامة ؛ لخلوه عن دعوى نبوة مَن ظهر ذلك من قِبله. فالنبى لابد له من علمه بكونه نبيا ، ومن قصْد إظهار خوارق العادات ، ومن حكمه قطعًا بموجب المعجزات بخلاف الولىّ

---

(١) إشارة إلى ما نطق به التنزيل من قصة الذى عنده علم من الكتاب فى قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ٤٠ سورة النمل وهو آصف بن بَرْخيا على الأشهر وكان كاتب سليمان عليه السلام .

(٢) قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى الرسالة : « ظهور الكرامات على الأولياء جائز ، والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه فى العقل ، لا يؤدى حصوله إلى رفع أصل من الأصول ، فوجب وصفه ـ سبحانه ـ بالقدرة على إيجاده ، وإذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شىء يمنع جواز حصوله . أ.هـ

انتهى كلامه مع زيادة تقرير له .

هل تقع الكرامة بعد الموت ؟

ومنه يعلم أن الكرامة لا تختص بحال الحياة ، فلا تنقطع بالموت ، بخلاف المعجزة للنبى حيث اعتبر فى حقيقتها الاقتران بدعوى النبوة وقصد إظهارها عند تحدى المنكرين ، وحينئذ فما يظهر من الخوارق بعد موت الأنبياء يكون كرامة لهم لا معجزة فمن أطلق عليها لفظ المعجزة فقد تسمَّح بخلاف كرامة الولى إذ لم يعتبر فى حقيقتها دعوى الولاية وقصد إظهار الكرامة بل الولى مظهَر لها إذ هى كما تقدم عبارة عن الأمر الخارق للعادة ، وهو الفعل الذى لا يدخل تحت كسب العبد واختياره بل هو حاصل بفعل الله تعالى والولى مَظْهَرٌ له أى محل [1] . الظهور، وفى هذا لا فرق بين حياة الولى وموته . هذا ما أفاده كلام المحقق

---

(١) قوله « محل لظهوره » لا يفهم منه أن قدرة الله تعالى تحلّ فى شىء من الحوادث بل الله يجريها على يديه .

التفتازانى فى شرح العقائد النسفية .

أدلة وقوع الكرامة بعد الموت عقلا :

فإن قلت : ما الدليل على جواز وقوع الكرامة بعد الموت ، وعدم اختصاصها بحال الحياة ؟ قلت : الدليل على ذلك أن الكرامة بعد الموت أمر ممكن . وكل ممكن جائز الوقوع ، فالكرامة بعد الموت جائزة الوقوع ، إذ لو لم نَقُلْ بجواز الوقوع للزم ترجيح أحد طرفى الممكن بلا مرجح وهو محال . وأيضا لو قلنا بعدم جواز الوقوع مع كونها مخلوقة لله تعالى ومقدورة له ، إذ هى من جملة الممكنات وقدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات بأسرها إيجادا وإعداماً على وفق إرادته تعالى - لزم تعجيز القدرة - تنزهت قدرته تعالى عن ذلك .

الدليل النقلى على وقوع الكرامة بعد الموت

فإن قلت : لا يلزم من جواز الوقوعِ الوقوعُ فهل ثم دليل على الوقوع ؟ .

قلت : نعم [1]. وهو ما نقله الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب ، حيث قال : « عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : ضرب بعض الصحابة

---

(١) ومنها الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبزار وأبو يعلى والحاكم وابن حبان والبيهقى فى الشعب : من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لما أسرى بى مرّت بى رائحة طيبة ، فقلت : ما هذه الرائحة ؟ قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها ، فقالت : بسم الله ، فقالت ابنة فرعون : أبى ، قالت ربى هو ربك ورب أبيك ، قالت : أو لك رب غير أبى ؟ قالت : نعم. فدعاها فرعون ، ألك رب غيرى ؟ قالت : نعم ربى وربك الله فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها ، فألقوا واحدا واحدا حتى بلغ رضيعا فيهم فقال : قعى يا أمه ولا تقاعسى فإنك على الحق ، قال : وتكلم أربعة وهم صغار : هذا وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم .

وفيه أيضا دليل على حصول الكرامة بعد الموت ، كما شم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رائحة ماشطة بنت فرعون .

ومن الأدلة على حصول الكرامة بعد الموت ما أخرجه البخارى فى قصة قتل عاصم بن ثابت الأنصارى رضى الله تعالى عنه وأرضاه أن المشركين بعثوا ناسا من كفار قريش إلى عاصم حين حُدثوا أنه قُتل ليؤتوا بشىء منه يعرف ، وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبُعث على عاصم مثل الظلة من الدَّبر فحمته من رسولهم فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئا ، وفى رواية بن إسحاق عن عاصم عن عمر عن قتادة قال كان عاصم بن ثابت أعطى الله تعالى =

خبَاءهُ على قبر ـ وهو لا يحسب أنه قبر ـ فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا أحسب أنه بئر ، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (هى المنجيه هى المانعة تنجيه من عذاب القبر) . رواه الترمذى وقال حديث غريب . انتهى. قال شارحه الفاضل الفيومى: ورواه الحاكم[1] .انتهى

وهذا دليل على وقوع الكرامة بعد الموت بتقريره صلى الله عليه وآله وسلم حيث أقر قراءة الميت سورة الملك ، وقال : هى المانعة ، هى المنجية من عذاب القبر ، وتقريره صلى الله عليه وآله وسلم دليل شرعى تثبت به الأحكام كما تقرر فى

= عهدا أن لا يمسه مشرك وأن لا يَمَسَّ مشركا أبدا ، فكان عمر رضى الله عنه يقول لمابلغه خبره: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه فى حياته .

وفى رواية أنه دعا قبل استشهاده بقوله : اللهم إنى أحمى لك اليوم دينك فاحم لى لحمى ، والدَّبَرَ بتشديد الدال وفتح الباء والراء هى الزنابير.

(١) قال الحافظ بن رجب رضى الله عنه فى كتاب أهوال القبور : « بعض أهل البرزخ يكرمه الله تعالى بأعماله الصالحة فى البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب تلك الأعمال لانقطاع عمله بالموت لكن إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما يتنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة فى الجنة ا.هـ.

محله من الأصول .

الرد على من أنكر وقوع الكرامة بعد الموت :

ولا يعارض ما حررناه وبالدليل أثبتناه قول قاضى القضاة الأوشى [١] . الحنفى فى منظومته فى العقائد المسماة ببدأ الأمالى فقال :

كرامات الولى بدار دنيا   لها كون فهم أهل النوال

إذ ليس بنص ولا ظاهر فى انقطاع الكرامات بالموت واختصاصها بحال الحياة ؛ لأن الدنيا عبارة عن كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة - ولا شك أن البرزخ من المخلوقات الموجودة قبل الدار الآخرة - فالمراد بالدنيا فى كلامه [٢] : ما قابل الآخرة ، وهى ما بعد الموت من القبور لا ماقبله حتى يشمل مابعد الموت إلى البعث ، وإن احتمله الكلام احتمالا غير مؤيد بدليل [٣] ، ومن ثمة نقل ابن القيم

(١) أوشى بالضم والسكون قرية من بلاد فرغانه كما فى اللب والله أعلم.

(٢) أى فى كلام الأوشى الحنفى رحمه الله تعالى.

(٣) ويكفى الدليل ما ثبت فى السنة المحمدية ، ولا كلام لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهوصاحب الوحى والشرع المعصوم أما غيره صلى الله عليه وآله وسلم فيؤخذ من كلامه ويرد عليه .

عن أبى يعلى أن عذاب القبر من الدنيا ؛ لا نقطاعه قبل البعث بالفناء ولا يعرف أمد ذلك ، وأيده الجلال فى شرح الصدور ويؤيده ما أخرجه هنَّاد بن السّرى - فى الزهد - عن مجاهد قال : للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة ، فإذا صيح بأهل القبور يقول الكافر : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾[1] ، فيقول المؤمن من جنبه : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾.

فى المواهب اللدنية بإسناد صحيح إلى عكرمة مولى ابن عباس[2] . أنه سئل عن يوم القيامة أهو فى الدنيا أم فى الآخرة ؟ فأجاب بأن نصفه الأول الذى يقع فيه الفصل والحساب من الدنيا ، ونصفه الآخر الذى يقع فيه الانصراف إلى النار والجنة من الآخرة . انتهى فإذا كان يوم القيامة بعد

---

(١) يس : ٥٢ .

(٢) هو عكرمه بن عبد الله البربرى المدنى أبو عبد الله ، تابعى كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازى ، طاف بالبلاد وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعيا ، ولد عام ٣٥ هـ وتوفى بالمدينة سنة ١٢٥ هـ فلما مات قيل : مات أعلم الناس .

فناء البرزخ وما يتعلق به حكم فى نصفه الأول بأنه من الدنيا فبالأولى أن يحكم على البرزخ أنه من الدنيا حقيقة [1].

فعلى هذا يُؤخَذ جواز وقوع كرامات الأولياء بعد الموت من قوله « بدار دنيا » ومن ثمة لم يتعرض أحد فيما رأيته فى شروح النظم مع كثرتها إلى التصريح بانقطاع الكرامات، بل قال شارحه الجلال البخارى : التقييد بدار دنيا ؛ لأن الاختلاف بين أهل السنة والمعتزلة[2]. وقع فيها ؛ لأنها دار محل كرامة جميع المؤمنين، وقال شارحه السمهودى: ينبغى أن يكون ظهور الكرامات لهم بعد موتهم أولى من ظهورها

---

(١) قال المؤلف فى حقيقة الدنيا عند المتكلمين قولان : **أحدهما** : هو ما على وجه الأرض من الجو والهواء ، **والثانى** : وهو أظهرهما كل المخلوقات من الجواهر والأعراض والأعيان الموجودة قبل دار الآخرة .

(٢) يشير إلى أن المعتزلة ينكرون وقوع الكرامة للولى فى الدنيا ويقولون : « إنه لو جاز ظهور خوارق العادات من الأولياء لاشتبه بالمعجزة فلم يتميز النبى من غيره ».

والجواب على كلامهم : أن ظهور خوارق العادات من الأولياء معجزة للرسول الذى ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته ؛ لأنه يظهر بتلك الكرامة أنه ولى ، ولن يكون وليا إلا وأن يكون محقا فى ديانته وديانته الإقرار برسالة رسوله مع الطاعة له فى أوامره ونواهيه حتى لو ادعى هذا الولى الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر ذلك على يده . ا.هـ .

حال حياتهم ؛ لأن النفس باقية صافية من الأكدار والمحن وغيرها ، وقد شوهد ذلك من كثير منهم بعد موته ، وقد يدخل ذلك فى كلام الناظم ، فإن قوله « بدار دنيا » صادق بحياته وبعد موته[1] . انتهى

الرد على من نسب إنكار وقوع الكرامة بعد الموت إلى الإمام أبى حنيفة

وبهذا ظهر أن من احتج بهذا البيت على انقطاع الكرامات بالموت حتى نسب إلى مذهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى القول بانقطاع الكرامات بالموت واهم ، وعن طريق أهل الهدى ضال[2] ؛ إذ لم يثبت فى شىء من

---

(١) وقال المؤلف : البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا ، ألا ترى لما قالوا إنه ينقطع فيه العذاب حتى عن الكفار بين النفختين فيجدون لذة النوم ، فإذا نفخ فيه أخرى يقول الكافر : ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ، فيقول المؤمن : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، كذا فى كتاب الكشف لأحمد بن منصور الحنفى . أ. هـ منه .

(٢) نقل ذلك الشيخ حسن بن حسن بن أحمد الطولوبى المعمار فى كتابه (نزهة الأبصار فى نبذة من معجزات النبى المختار ومناقب الأئمة الأخيار) ولم يوجد هذا الكتاب إلا فى خزانة قايتباى بمصر المحروسة . ا.هـ المؤلف .

كتب مذهب أبى حنيفة - أصولا وفروعاً - القول بانقطاع الكرامات بالموت ، بل لم يثبت فى شىء من كتب المذاهب الثلاثة ، فمن ادعى ذلك فعليه البيان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

وفى شرح مقدمة الإمام أبن الليث السمرقندى الحنفى الفاضل القرمانى[1] مانصه : « ومن كرامات الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى بعد الموت ، ما رواه الأئمة أنه لما غسل رحمه الله ظهر على جنبه سطر ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾[2] وعلى يده اليمنى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] وعلى يده

---

(١) هو الشيخ نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى الملقب بإمام الهدى ومن الزهاد المتصوفين له تصانيف نفيسة منها خزانة الفقه وعقدة العقائد توفى ٣٧٣هـ .

(٢) الفجر : الآيات من ٢٧ : ٣٠ .

(٣) لعله أراد قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ الزخرف : ٧٠لعدم وجود آية بهذا النص .

اليسرى : ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[1]

وعلى بطنه : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[2] ولما وضعوه على الجنازة سمع صوت هاتف يقول :

يا قائم الليل طويل القيام كثير التهجد كثير الصيام

أباحك السيد دار السلام

ولما وضع فى قبره سمع هاتفا يقول ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾[3].

هذا ما يتعلق بعدم انقطاع الكرامات بالموت .

---

(١) الكهف : ٣٠.

(٢) التوبة : ٣١.

(٣) الواقعة : ٨٩.

الكلام على تصرف الأولياء والمراد منه

وما يتعلق بالتصرف فاعلم أن تصرف الأولياء[1] حال حياتهم من جملة كراماتهم وهو فى كل زمان لا شك فيه ولا ينكره إلا معاند.

قال التاج السبكى أن من أنواع الكرامة مقام التصريف.

---

(١) المقصود بتصرف الأولياء دعوتهم المستجابة عند الله تعالى التى أخبر عنها فى الحديث القدسى المتفق عليه عند البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنَّ الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ... الحديث وفى نهايته «ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه» الحديث.

وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى، ولم يتعاظم على خلقى، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتى، فقطع نهاره فى ذكرى، ولم يبت مصرا على خطيئة، يطعم الجائع، ويكسو العارى ويرحم الضعيف، ويؤوى الغريب، فذاك الذى يضئ وجهه كما يضئ نور الشمس، يدعونى فألبى، ويسألنى فأعطى، ويقسم علىَّ فأبر قسمه أجعل له فى الجهالة علما، وفى الظلمة نورا، أكلأه بقوتى واستحفظه ملائكتى».

وأما ما يتعلق بما بعد مماتهم فقد تقدم أن كراماتهم لا تنقطع بالموت .

ثم إن تصرف الأولياء فى حياتهم وبعد مماتهم إنما هو بإذن الله تعالى وإرادته ، لاشريك له فى ذلك خلقاً وإيجاداً ، أكرمهم الله تعالى به وأجراه على أيديهم وبسببهم خرقا للعادة ، تارة بإلهام ، وتارة بمنام ، وتارة بدعائهم ، وتارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم ، بل قد حصل من الصبى غير المميز (1). وتارة بالتوسل إلى الله تعالى بهم فى حياتهم وبعد مماتهم مما هو ممكن فى القدرة الإلهية .

ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك منهم قبل الموت وبعده نسبتهم إلى الخلق والإيجاد والاستقلال بالأفعال ؛ فإن هذا لا يقصده مسلم ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلا عن غيرهم ؛ فصرف الكلام إليه ومنعه من باب التلبيس فى

---

(1) وقد صرح الإمام اليافعى فى روض الرياحين بوقوع كرامات من لم يبلغوا سن التمييز فضلا عن التكليف ثم قال فى آخر كلامه : ومنهم الكبار ومنهم الصغار والعبيد .

الدين والتشويش على عوام المسلمين ، فلا يظن بمسلم بل ولا بعاقل توهم ذلك فضلا عن اعتقاده .

التحذير من المجازفة بتكفير من يقول بالتصرف للأولياء بإذن الله تعالى :

وكيف يحكم[1]. بالكفر على من اعتقد ثبوت الكرامات لهم بعد مماتهم وعلى من اعتقد ثبوت التصرف لهم في حياتهم وبعد مماتهم حيث كان مرجع ذلك إلى قدرة الله تعالى خلقا وإيجاداً[2].

---

(١) قال الشيخ الإمام أبو بكر الباقلاني رضى الله تعالى عنه « إن إدخال ألف كافر فى الإسلام بشبهة إسلام واحدة أسلم من تكفير مسلم واحد بألف شبهة » فانظر عظيم خطر التكفير ، وتعظيم العلماء للمسلم وورعهم عن الوقوع فى هذه المزلة الخطيرة .

(٢) قال الشيخ حبيب الله الشنقيطى فى كتاب « فتح المنعم بشرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم - فى الجزء الخامس عند شرح حديث التوسل بالأنبياء والمرسلين :ومن الفوائد المستفادة من هذا الحديث أن الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم فى الدنيا من التوسل إلى الله تعالى فى حوائجهم بأنبيائهم والباعث على ذلك الإلهام الذى يلقيه الله فى قلوبهم كما دل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى صدر الحديث من رواية مسلم « فيلهمون لذلك »، وفى هذا التوسل المستصحب» أقوى دليل لجواز التوسل بالأنبياء والصالحين وهم =

كيف وكُتب جمهور المسلمين طافحة به وأنه جائز وواقع لامرية فيه بوجه ألبتة حتى كاد أن يلحق بالضروريات بل بالبديهيات ؛ وذلك لأن كرامات أولياء هذه الأمة فى حياتهم وبعد مماتهم[1] .تصرفا وغيره من جملة معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم الدالة على صدق نبوته وعموم رسالته الباقية بعد موته التى لا ينقطع دوامها ولا تجددها بتجدد الكرامات فى كل عصر من الأعصار إلى يوم القيامة .

الرد على منكر الكرامة والتصرف بعد الموت :

ثم إن المنكر للكرامات بعد الموت والتصرف حل الحياة وبعد الموت إما أن يصدق بكرامات الأوفياء أو يكذب بها فإن

= فى قبورهم استصحابا لأصل الجواز ، كما استصحب جواز ذلك فى يوم القيامة ، ومن المعلوم أنه ليس للمتوسل به إلا محض جاهه عند الله تعالى والموت لا يزيل الجاه عند الله تعالى عمن تفضل الله تعالى عليه به . ا ،هـ.

(١) فى كتاب الفتح المبين فى مقامات الصديقين لابن المعيزبى أن الشيخ الجليل نجم الدين الأصفهانى خرج مع جنازة بعض الصالحين فلما جلس بعض الناس من أهل العلم يلقن الميت ضحك الشيخ نجم الدين ، ولم يكن الضحك عادة له فسئل عن ذلك ، فقال : سمعت صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يلقن حيا ا. هـ المؤلف

كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه ؛ فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالأدلة الواضحة ، وإن كان ممن يصدق بها فالكرامة بعد الموت والتصرف فى حال الحياة وبعد الممات من جملة الكرامات[1].

قال العلامة ابن حجر :

« ليس العجب من إنكار المعتزلة للكرامات ؛ فإنهم

---

(١) قال الشيخ العلامة / محمد بخيت المطيعى فى مقدمة شفاء السقام للإمام السبكى المطبوع فى المطبعة الأميرية سنة ١٣١٨هـ ص ١٤ : « وكما جاز أن يتوسط حى فى قضاء مصلحة حى أو ميت والفعل لله وحده يجوز أن يتوسط روح ميت فى قضاء مصلحة حى أو ميت والفعل لله وحده ، والأرواح باقية على الحياة ، وأفعالها فى عالم الملك إنما تظهر بواسطة البدن بالحياة الحيوانية ، فإذا مات وفقد الحياة الحيوانية بقيت نفسه وروحه على حياتها الملكوتية وتعلقت بجسمه تعلقا آخر على وجه آخر يعلمه الله تعالى كما دل عليه نعيم القبر وعذابه ، فإذا كان الفعل فى الواقع ونفس الأمر إنما هو للنفس والروح والجسم آلة يظهر بها الفعل ، والروح باقية خالدة ، ففعلها باق وتصرفها فى أفعالها لا يتغير إلا بعد ظهور الأفعال بواسطة البدن فلا مانع عقلا أن يكون بعض أرواح الأولياء والصالحين بعد موت الأجساد سببا بدعائها وتوجهها إلى الله تعالى فى قضاء حوائج بعض الزائرين لهم المتوسلين بهم بدون أن يكون لها مدخل فى التأثير وأى فرق بين التوسط بالأحياء فى قضاء الحوائج مع الاعتقاد أن لا فاعل أى لا خالق للفعل غير الله تعالى وبين توسط أرواح الأموات فى اعتقاد ذلك . ا.هـ

خاضوا فيما هو أقبح من ذلك وأنكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كسؤال الملكين وعذاب القبر والحوض والميزان وغير ذلك من عظيم كذبهم وافترائهم ؛ لتقليدهم لعقولهم الفاسدة وتحكيمهم لها على الله وآياته وأسمائه وصفاته ، فما رأوه موافقاً لتلك العقول السقيمة الفاسدة اللئيمة قبلوه، ومالم يروه لم يبالوا بتكذيب القرآن والسنة والإجماع ؛ لأن كلمة الغضب حقت عليهم ، وقبائح المذام تسابقت إليهم، وإنما العجب من قوم تسمَّوا باسم أهل السنة ومع ذلك يبالغون فى الإنكار ؛ لأن كلمة الحرمان حقت عليهم حتى ألحقتهم بأهل البوار ، وأوجبت عليهم نوعاً من الوبال والخسران ، وهؤلاء أقسام:

منهم من ينكر على مشايخ الصوفية وتابعيهم ، ومنهم من يعتقدهم إجمالا وأن لهم كرامات ومتى عُيِّن له واحد أو رأى كرامة أنكر ذلك ؛ لما خيل له الشيطان أنهم انقطعوا وأنه لم يبق إلا متلبس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبَّس عليه وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان . ا. هـ

أقسام الناس فى التصديق بالكرامات :

وفى روض الرياحين [1].

« الناس فى الكرامات أقسام : منهم من ينكرها مطلقا ، وهم أهل مذهب معروفون وعن الهدى والتقوى مصروفون ، ومنهم من يصدق بكرامات من مضى دون أهل زمانه وهم كبنى إسرائيل صدقوا بموسى عليه السلام حين لم يروه ، وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حين رأوه مع كونه أعظم ، ومنهم من يصدق بالأولياء لكن لا يصدق بأحد معين وهذا محروم من الإمداد ؛لأن من لم يسلم لأحد معين لا ينتفع بأحد أبدا » .

قلت: وقد حدث الآن بديار الروم طائفة تسمى القاضى زادليَّة تثبت كرامات الأولياء حال حياتهم وينكرونها بعد

---

(١) وهو للعلامة اليافعى اليمنى رضى الله تعالى عنه ص٣٢ واسمه عبد الله ابن أسعد بن على اليافعى عفيف الدين مؤرخ ،باحث متصوف ، من شافعية اليمن ، نسبته إلى يافع من حِمْد ، ومولده ونشأته فى عدن ، من كتبه : مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان ، والدر النظيم فى خواص القرآن العظيم ، ونشر المحاسن الغالية فى فضل مشايخ الصوفية أصحاب المناقب العالية ولد سنة ٦٩٨هـ وتوفى سنة ٧٦٨هـ.

وفاتهم ، وتنكر كرامات التصرف حال حياتهم وبعد مماتهم وهؤلاء وإن لم يبالغوا كالمعتزلة فى الإنكار فهم على شفا جرف هار.

ما يعين على التصديق بالكرامات

قال العلامة ابن حجر :

« ومطالعة كتب الصوفية تحصّل العلم بوقوعها ضرورة، وقد رأينا من كراماتهم أحياءً وأمواتا ما يوجب ذلك فلا ينكرها إلا مخذولٌ فاسدُ الاعتقادِ فى أولياء الله تعالى وخواص عباده نفعنا الله بهم »(١). انتهى.

قال العلامة الثانى سعد الدين التفتازانى - فى شرح

---

(١) ونصوص العلماء فى جواز الكرامات كثيرة يعسر تتبعها وفى طبقات الشافعية للتاج السبكى بحث جيد فى ذلك مذكور فى ص ٥٧ الجزء الثاني، من الطبقات فليراجع ، وللعلامة عماد الدين بن إسماعيل بن هبة الله بن باطيس كتاب « مُزِيل الشبهات فى إثبات الكرامات » ذكر فيه جملة من النصوص ، وقدراً لا بأس به من الكرامات المنقولة عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، وهو واحد من مئات أفردوا مبحث الكرامات بالتأليف . وفى العصر الحديث ألف العلامة القاضى الشيخ يوسف النبهانى كتابا أسماه « جامع كرامات الأولياء » فى مجلدين عظيمين ، وألف العلامة المحدث الشيخ عبدالله بن محمد الصديق الغمارى كتابا جيدا أسماه « الحجج البينات فى إثبات الكرامات .

المقاصد بعد الكلام : « وبالجملة فظهور كرامات الأولياء تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء ، وإنكارها من أهل البدع ليس بعجيب ؛ إذ لم يشاهدوا ذلك فى أنفسهم ، ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم فى العبادات واجتناب المنهيات ، فوقعوا فى أولياء الله أهل الكرامات يأكلون لحومهم[1] ويخرقون أديمهم[2] .جاهلين كون هذا الأمر مبنياً على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة ، بل العجب من قول بعض فقهاء أهل السنة فيما يروى عن إبراهيم[3] بن أدهم أنه رؤى بالبصرة وبمكة يوم التروية :أن من اعتقد جوازه فقد كفر. والإنصاف ما قاله النسفى[4] وقد سُئل عما قيل إن الكعبة

---

(١) أى يغتابونهم ويقعون فى أعراضهم.

(٢) الأديم : الجلد ، وهو كناية عن اغتيابهم.

(٣) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمى البلخى أبو إسحاق زاهد مشهور وكان أبوه من أهل الغنى فى بلخ فتفقه ورحل إلى بغداد ثم العراق والشام وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة ، توفى سنة ١٦١هـ، ودفن فى سوفن حصن من بلاد الروم.

(٤) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو حفص نجم الدين النسفى عالم فقيه من فقهاء الحنفية وكان يلقب بمفتى الثقلين وهو غير النسفى المفسر عبد اللهبن أحمد وهو صاحب كتاب العقائد ، له نحو مائه مصنف ولد سنة ٤٦١ وتوفى ٥٣٧ هـ.

كانت تزور أحد الأولياء هل يجوز القول به ؟

فقال : نقض العادة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة .

قال اليافعي :

« ومعلوم أن الكعبة فى مكانها لم تفارقه ، وإن من وراء العقل طورا آخر » انتهى .

تصحيح مفهوم من أنكر الكرامه ونسب ذلك لبعض أهل السنة

قال الإمام السبكى [1] .

« إنى لأتعجب كل العجب من منكر الكرامات ، ويزداد تعجبى منه عند نسبة إنكارها للأستاذ أبى إسحاق

---

(١) الإمام السبكى هو على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى الخزرجى الشافعى (تقى الدين) (أبو الحسن) عالم فى الفقه والحديث والأدب والنحو واللغة والحكمة ولد بسبك العبيد من أعمال المنوفيه بمصر سنة ٦٨٣هـ تفقه على والده ودخل القاهرة وولى قضاء الشام وتوفى فى جمادى الآخر بظاهر القاهرة سنة ٧٥٦ هـ ودفن بمقابر الصوفية .

الإسفراييني (١) وهو من أساطين أهل السنة ، والجماعة على أن نسبة إنكارها إليه كذب ، وإنما الذى ذكره الرجل فى كتبه أنها لا تبلغ خرق العادة حيث قال : « ما كان معجزة لنبى لا يجوز مثله(٢) كرامة لولى ، وإنما غاية الكرامات إجابة دعوة وشربة ماء فى مفازة أو كسرة فى منقطعة أو ما يضاهى ذلك » انتهى ، وجرى على نحوه الإمام الحليمى ثم الأستاذ القشيرى(٣) فقال : « الكرامة لا تنتهى إلى وجود ولد من غير أب وقلب جماد بهيمة ، قال الحافظ ابن حجر : وهذا أعدل المذاهب وجرى على ما قاله القشيرى التاج السبكى (٤) فى جمع الجوامع .

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني نسبة إلى اسفرايين بلدة بنواحي نيسابور - فقيه ، أصولى شافعى ، قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد توفى سنة ٤١٨هـ .

(٢) قال الشيخ الحموى : قلت وجود عيسى - عليه السلام - ابن مريم يدل على الإمكان والحال أنها ليست نبيه ، وإن وجود عيسى من غير أب ونطفة على براءتها هو من جملة الخوارق إكرامًا لها.

(٣) ينظر الرسالة للقشيرى ص ٥٣٠ فى باب كرامات الأولياء .

(٤) هو عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى الشافعى (تاج الدين) بن الإمام تقى الدين السبكى فقيه أصولى مؤرخ أديب ولد بالقاهرة وقدم إلى دمشق مع=

قال الزركشي : ليس الأمر كما قال بل الذى قاله القشيرى مذهب ضعيف والجمهور على [1] خلافه ، وقد أنكروا عليه حتى ولده أبو النصر فى كتابه المرشد وإمام الحرمين [2] فى الإرشاد .

قال الإمام النووى فى شرح مسلم فى باب البر والصلة :

« إن الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها ، ومنعه بعضهم وادعى أنها تختص بمثل إجابة دعوة ونحوه . وهذا غلط من قائله وإنكار للحس بل الصواب

= والده ولزم الذهبى وتخرج به ولد سنة ٧٢٧هـ وتوفى بدمشق فى ٧ من ذى الحجة سنة ٧٧١هـ .

(١) لأن القاعدة التى يرددها العلماء كثيراً فى كتبهم هى « ما جاز أن يكون معجزة لنبى يجوز ان يكون كرامة لولى » لأن خالق المعجزة هو خالق الكرامة فهى من الله تصديق على دعواه وإقامة برهان على من أنكره ، والذى أكرم النبى بالمعجزة هو الذى أكرم الولى بالكرامة إعلاما للعباد بما لأحبابه عنده من المكانة والفضل . ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ .

(٢) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى النيسابورى الشافعى الأشعرى المعروف بإمام الحرمين (ضياء الدين أبو المعالى) فقيه ، أصولى ، مفسر ولد عام ٤١٩هـ فى الحرم وجاور بمكة وتوفى عام ٤٧٨هـ ودفن بنيسابور .

جريانها بقلب الأعيان ».

وقال المحقق التفتازانى - فى شرح المقاصد بعد كلام -:

« قال إمام الحرمين :والمرضى[1] عندنا تجويز جملة

---

(١) قوله « والمرضى عندنا تجويز جملة الخوارق .. الخ » قال الشيخ الحموى فى هامش المطبوعة منها اطلاع الولى على اللوح المحفوظ على ماصرح به فى « تنوير الحقيقة شرح الطريقة فى فضل عثمان رضى الله عنه اختلف الصحابة فى جمع عثمان للقرآن فقال عثمان : إنكم اختلفتم ، فمن بعدكم يكون أشد اختلافا فجلس عثمان وأخرج ما جمعه أبو بكر رضى الله عنه فأظهره على الصحابه ، فالنسبة إلى عثمان باعتبار أنه الذى أظهره ، قال بعضهم كنت أعجب من عثمان فى جمعه وترتيبه القرآن وتقسيمه على القراء السبع مع كمال الصعوبة ثم اطلعت أنه كان يكتب ما يكتب بالنظر إلى اللوح المحفوظ أهـ ويمنعه البعض ، ولعل سنده الحديث الذى أخرجه أبو الشيخ فإن اللوح المحفوظ معلق بالعرض ، فإذا أراد الله أن يوحى لنبى كتب فى اللوح المحفوظ فيجىء اللوح حتى يقرع جبهة إسرافيل فينظر فيه ، فإذا كان لأهل السماء دفعه إلى ميكائيل وإن كان لأهل الأرض دفعه إلى جبريل فأول من يحاسب يوم القيامة اللوح .. الخ ، قلت هذا الحديث يقبل التأويل لورود حديث« إن أول من يحاسب جبريل ؛ لأنه كان أمين الله فى وحيه إلى رسله .. وأيضا ورد أن النطفة إذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه فقال : أى رب ذكر أم أُنْثى؟ شقى أم سعيد؟ ما الأجل؟ ما الأثر ؟بأى أرض يموت؟ فيقال: انطلق إلى أم الكتاب فإنك تجد قصَة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها فى أم الكتاب تخلق فتأكل رزقها وتطؤأثرها فإذا جاء أجلها قبضت فدفنت فى المكان الذى قدر لها ،وهذا=

خوارق العادات في معْرض الكرامات، وإنما تمتاز عن المعجزات بخلوها عن دعوى النبوة، نعم قد يرد في بعض المعجزات نص على أن أحدا لا يأتي بمثله أصلاً كالقرآن، وهو لا ينافي الحكم بأن كل معجزة لنبي جاز أن تكون كرامة لولي؛ لأن الامتناع هنا يعارض » انتهى. ومثله الإسراء والمعراج يقظة بالروح والجسد، وعلم الخمس التي استأثر الله بعلمها، وكذلك العلم بحقيقة الروح.

تنبيه

ذكر الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعراني في كتابه الجواهر والدرر أن بعض مشايخه ذكر له أن الله يوكل بقبر الولي ملكا يقضي حوائج الناس، كما وقع للإمام الشافعي[٢]. والسيدة

= دليل على اطلاع غير إسرافيل على اللوح المحفوظ والله أعلم بالصواب. أهـ منه

(١) وهذا من باب استجابة الدعاء للولي الذي يتوجه إلى الله تعالى بروحه في رد الأسير وإنقاذه من يد مَنْ أسره من الأعداء وهذا ليس بمستبعد على الله تعالى القادر على كل شيء

نفيسة[1] وسيدى أحمد البدوى[2] يعنى فى إنقاذ الأسير من يد أسره من بلاد الإفرنج ، وتارة يخرج الولى من قبره بنفسه يقضى حوائج الناس ؛ لأن للأولياء الانطلاق فى البرزخ والسراح لأرواحهم[3] . انتهى .

تحقيق القول فى عالم المثال وتطور الولى:

أقول : تحقيق قوله « وتارة يخرج الولى من قبره .. الخ »أن الذى عليه المحققون من الصوفية أن الأمر فى عالم البرزخ

---

(١) وهذه الكرامة ذكرت فى مناقب السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها كما ذكر ذلك صاحب كتاب نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) وهذه الكرامة لسيدى أحمد البدوى قد نقلها العالم الثقة شهاب الدين أحمد بن محمد المقدسى فى تاريخ القدس الشريف عن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى .. وتكررت هذه الكرامة ورواها الأئمة كالشعرانى والسيوطى وسراج الدين الحنبلى والمناوى والحلبى .

(٣) وقد ثبت فى السنة أن الأولياء والصالحين يظهرون فى صور متعددة ويتصرفون وتصدر منهم أعمال عظيمة بقدرة الله تعالى - كما فى حديث ابن عدىّ فى الكامل : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قتل جعفر بن أبى طالب قال : « عرفت جعفرا فى رفقة من الملائكة يبشرون أهل بيشة بالمطر » وبيشة قرية باليمن .

وفى كتاب « الروح » لابن القيم فصول فحواها « أنه قد تواترت الرؤى والروايات بأن لأهل القبور قدرة على التصرف بأقوى مما كانوا فى الحياة لتجرد الروح عن عوائق البدن » .

والآخرة على خلاف عالم الدنيا فيحضر الإنسان فى صورة واحدة فى عالم الدنيا المسمى بـ « عالم الشهادة » إلا الأولياء كما نقل عن « قضيب البان »[١] . أنه رؤى فى صور مختلفة ويسرّ ذلك أن روحانيتهم غلبت جسمانيتهم فجاز أن تظهر فى صور كثيرة ، وحمل على قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبى بكر لما قال له وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال : « نعم وأرجو أن تكون منهم »[٢] .

وقالوا : إن الروح إذا كانت كلية كروح نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ربما تظهر فى سبعين ألف صورة ذكر ذلك المحقق ابن أبى جمرة فإذا جاز لأرواح الأولياء عدم الانحصار فى صورة واحدة فى عالم الدنيا فترى فى صور مختلفة لغلبة روحانيتهم جسمانيتهم فأحرى أن لا تنحصر أرواحهم فى صورة واحدة فى عالم البرزخ الذى الروح فيه أغلب على

---

(١) هو الحسين بن عيسى بن يحيى الحسنى أبو عبد الله المعروف بقضيب البان متصوف من أهل الموصل حنبلى المذهب صحب السيد عبد القادر الجيلانى وغيره وله أخبار فى الزهد كثيرة ولد سنة ٤٧١هـ وتوفى سنة ٥٧٤هـ.

(٢) متفق عليه - رواه البخارى فى الجهاد ومسلم فى الزكاة والنسائى فى الجهاد.

الجسمانية.

وقالوا - أيضًا - : الولى إذا تحقق فى الولاية مُكن من التصوّر فى صور عديدة وتظهر روحانيته فى وقت واحد فى جهات متعددة فالصورة التى ظهرت لمن رآها حق ، والصورة التى رآها آخر فى ذلك الوقت حق ولا يلزم من ذلك وجود شخص فى مكانين فى وقت واحد، لأن فيما هنا تعدد الصور الروحانية لا الجسمانية ، فإذا جاز للروح أن ترى فى صور عديدة في دار الدنيا لن تحقق فى الولاية ، فأحرى أن ترى فى صور عديدة فى عالم البرزخ الذى الغلبة فيه للأرواح على الأجسام[1]، ويقوى ذلك ما ثبت فى السنة وصح أن النبى

---

(١) وهذه المسألة ألف فيها العلامة السيوطى رحمه الله تعالى رسالة خاصة سماها « المنجلى فى تطور الولى » قال فيها : قد نص على إمكان ذلك - يعنى وجود الشخص فى مكانين فى وقت واحد - أئمة أعلام منهم : العلامة علاء الدين القونوى شارح الحاوى ، والشيخ تاج الدين السبكى ، وكريم الدين الآملى شيخ الخانقاه الصلاحيه سعيد السعدا، وصفى الدين ابن أبى المنصور وعبد الغفار بن نوح القوصى صاحب الوحيد ، والعلامة اليافعى ، والتاج ابن عطاء الله والسراج بن الملقن ، والبرهان الأنباسي والشيخ عبد الله المنوفى وتلميذه العلامة خليل صاحب المختصر ، وأبوالفضل محمد بن ابراهيم التلمسانى المالكى وآخرون. =

صلى الله عليه وآله وسلم رأى موسى قائما يصلى فى قبره ليلة الإسراء ورآه فى السماء السادسة تلك الليلة [1].

وقد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين الأجساد والأرواح سموه « عالم المثال » وقالوا : هو ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح ، وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال ، يستأنس لذلك بقوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[2]. فتكون

= قال : وحاصل ماذكروه فى توجيه ذلك ثلاثة أمور :

أحدها : أنه من باب تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما يقع ذلك للجن

والثانى : أنه من باب طى المسافة وزوى الأرض من غير تعدد ميزاه الرائيان كل فى بيته وهى بقعة واحده إلا أن الله طوى الأرض وزواها ، ورفع الحجب المانعة من الاستطراق فظن أنه فى مكانين وإنما هو فى مكان واحد وهذا أحسن ما يحمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمكة حال وصفه إياه لقريش صبيحة الإسراء .

والثالث : أنه من باب عظم جثة الولى بحيث ملأ الكون فشوهد فى كل مكان كما قرر بذلك شأن ملك الموت ومنكر ونكير حين يقبض من مات فى المشرق وفى المغرب فى ساعة واحده ويسألان مَن قبر فيهما فى الساعة الواحده فإن ذلك أحسن الأجوبة فى الثلاثة . ا.هـ.

(١) الحديث مروى فى البخارى ومسلم بطوله .

(٢) مريم / ١٧.

الروح كروح جبريل - عليه السلام - مثلا فى وقت واحد مدبّرة لشبحه الأصلى ولهذا الشبح المثالى ، فإذا جاز تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من العالم المثالى فى عالم الدنيا ففى عالم البرزخ أولى ، وعلى هذا فالذى يخرج من القبر الشبح المثالى [1] . هذا تحقيق المقام وليس وراء علم الله مقام» .

هذا وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى [2] . فى

---

(١) قال الإمام العلامة علاء الدين القونوى شارح الحاوى فى كتابه « الإعلام بإلمام الأرواح بعد الموت محل الأجسام » بعد أن ذكر فيه حديث صلاة موسى عليه السلام فى قبره مع رؤيته صلى الله عليه وسلم له فى السماء السادسة ؛ وتكرار مراجعته له فى أمر الصلاة : وهذان يحتاجان إلى التوفيق بينهما ، فيجوز أن يقال : لا ينبغى أن يظن انقطاع التفاتهم إلى قبورهم بالكلية ، ولا ارتفاع التعلق بينها وبينهم ، بدليل استحباب زيارتهما فى عامة الأوقات؛ وماذلك إلا لأن بينها وبينهم علاقة مستمرة غير منقطعة ، فلها بهم اختصاص خاص ، والله أعلم بكيفية ذلك الاختصاص ، وكذلك قبور سائر المؤمنين بينها وبين أرواحهم نسبة خاصة مستمرة فيعرفون بها من يزور قبورهم ويردون السلام على من سلم عليهم ، يدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا إلا عرفه ورد عليه السلام ، رواه مسلم فى كتاب الجنائز ١ / ٣٨٧ .

(٢) هو الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن على الحنفى نسبة إلى محمد بن =

طبقاته فى ترجمة القطب سيدى شمس الدين[1] . محمد الحنفى أنه قال ـ فى مرض موته ـ : من كان له حاجة فأتى إلى قبرى ويطلب حاجته أقضيها له ؟ فإن ما بينى وبينه غير ذراع من تراب ، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل[2] . انتهى.

قال بعض الفضلاء: علم من كونه قال ما ذكر فى مرض موته إنما قاله قبل ذلك ، ونقل عنه أيضا الشيخ عبد الوهاب الشعرانى من أن « الولىّ إذا مات انقطع تصرفه فى الكون من الإمداد ، وإن حصل للزائر مدد بعد الموت أو قضاء حاجته فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطى

= الحنفية الشعرانى أبو محمد من علماء التصوف المتشرعين ولد فى قلقشند سنة ٨٩٨هـ توفى ٩٧٣هـ بالقاهرة وضريحه ومسجده معروفان بباب الشعرية وله مؤلفات كثيرة

(١) هو الإمام السلطان شمس الدين محمد بن حسن الحنفى رضى الله عنه من إجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة توفى سنة ٨٤٧هـ وله ترجمة مطولة فى الطبقات الكبرى ٢ / ٨٨

(٢) ينظر الطبقات ٢ / ٩٦

الزائر من المدد على قدر مقام المزور»[1]. محمول على أنه قاله قبل ان يُعلمه الله بإلهام أن الوليّ يتصرف بعد الموت وبهذا يحصل التوفيق بين كلاميه .

خاتمة

تحقيق القول فى الاخبار بالمغيبات عن طريق الكشف

من جملة الكرامات الإخبار ببعض المغيبات ، والكشف وهو درجات تخرج عن حد الحصر ، وذلك موجود الآن بكثرة ، ولا يعارضه قوله تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[2]. لأنا لا نعلم عموم الغيب فيجوز أن يختص بحال القيامة بقرينة السياق ، أو المراد سلب العموم نحو لم يقم كل إنسان لا عموم السلب نحو كل إنسان لم يقم ، ولا يعارضه أيضا قوله تعالى: ﴿ قُل

(١) ينظر الطبقات الكبرى ٢ / ١٠٠ .

(٢) الجن : ٢٦ ، ٢٧

لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(١) .

ووجه عدم المعارضة أن علم الأولياء إنما هو بإعلام من الله لهم(٢) . وعلمنا بذلك إنما هو بإعلامهم لنا وهذا غير علم الله تعالى الذى تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة المنزهة عن التغيير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها كان وما يكون أو ما جاز أن يكون وليس بضرورى ولا كسب ولا حادث بخلاف علم سائر الخلق ، فعلم الله الذى تمدّح به وأخبر فى الآيتين المذكورتين أنه لا يشاركه فيه أحد فلا يعلم الغيب إلا هو ، ومنْ سواه إن علموا جزئيات منه فبإعلام الله تعالى واطلاعه لهم ، وحينئذ لا يطلق عليهم أنهم يعلمون الغيب إذ لا صفة

---

(١) النمل :٦٥.

(٢) كما فى كرامة سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه المشهورة حين قال : « ياسارية الجبل الجبل » وهى قصة صحيحة وقد صححها ابن تيمية رحمه الله تعالى وإخبار والد سيدنا جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه بالشهادة كما روى البخارى عن سيدنا جابر رضى الله عنه قال : لما حضر أحد دعانى أبى من الليل فقال : ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يقتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ... الحديث .

لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه ، وأيضا هم ما علموا وإنما أُعْلموا ، وأيضا هم ما علموا غيبا مطلقا ؛ لأن من أعلم بشيء منه تشاركه فيه الملائكة أو نظراؤه ممن اطلع ، ثم إعلام الله تعالى للأولياء ببعض المغيبات لا يستلزم محالا بوجه ، فإنكار وقوعه عناد [1] ومن البداهة أنه لايؤدى إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذى تمدح به واتصف به فى الأزل وفيما لا يزال وإذا كان كذلك فلا بدع فى أن الله تعالى يطلع بعض أوليائه على بعض المغيبات فإن ذلك أمر ممكن جائز عقلا وشرعا وواقع نقلا عن جمهور أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين والأصوليين فإنهم نصوا على ثبوت كرامات الأولياء وأنها جائزة وواقعة بجميع خوارق العادات لافارق بينها وبين المعجزة إلا التحدى ودعوى النبوة فمن الإخبار بالمغيبات إخبار الصديق رضى الله تعالى عنه فى مرض موته بولد يولد له بعده هو أنثى .

---

(١) وإنما كان عنادا لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ فكل من أعلمه الله تعالى بشيء فهو داخل فى هذا الاستثناء وقد هلك المتنطعون .

تحذير العلماء من الإفتاء بالتكفير فيما له وجه من التأويل

إذا تقرر ذلك فما وقع فى الفتاوى البزازية من قوله : قال علماؤنا : من قال : أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر . انتهى .

يعنى « تعلم » : الغيب بقرينة السياق ، وهو مشكل ، إذ لا يكفر بمجرد هذا القول مع احتمال التأويل ، كما قال فى التترخانية : لا يكفر بالمحتمل ؛ لأن الكفر نهاية فى العقوبة فيستدعى نهاية فى الجناية ومع الاحتمال لانهاية . انتهى .

وفى شرح الهداية للمحقق كمال الدين ابن الهمام بعد سرد كثير من ألفاظ التكفير والذى تحرّر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على[1] محمل حسن أو كان فى كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة . انتهى .

وهو مأخوذ من الخلاصة وغيرها إذا كان فى المسألة

---

(١) وقد نقل ابن عجيبة فى تفسيره لسورة البقرة عن الشيخ الجوينى إمام الحرمين رضى الله تعالى عنه قوله « لأن أدخل ألف كافر فى الإسلام بشبهة واحدة خير من أن أخرج واحدا من الإسلام بألف شبهة .

وجوه توجب التكفير ووجه واحد لا يوجبه فعلى المفتى أن يميل لعدم التكفير . انتهى .

قال في النهر:

« غير أنه يراد بالوجوه الأقوال والاحتمالات لكن يؤيد الأول ما فى الصغرى « الكفر شيء عظيم ؛ فلا أجعل المؤمن كافرا متى وجدت رواية لا يكفر » . انتهى

قول هذا لا يقتضى أن يراد بالوجوه فى كلام الخلاصة الأقوال فقط بل الوجوه فى كل كلامه مستعملة فى كل منها أخذا من قول ابن الهمام : « أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان فى كفره اختلاف » .

وفى جامع الفصولين : روى الطحاوى عن أصحابنا : لا يخرج الرجل من الإيمان إلا بجحوده ما أدخله فيه ، ثم ما يتبين أنه ردة يحكم بها ، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها ؟ إذ الإسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الإسلام يعلو ؛ فينبغى للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل[1] . الإسلام

---

(١) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله =

مع أنه يقضى صحة إسلام المكره ، ثم قال : قدمت هذه المقدمة لتكون ميزانا فيما نقلته فى هذا الفصل من المسائل فإنه قد ذكر فى بعضها أنه يكفر مع أنه لا يكفر على قياس هذه المقدمة فليتأمل . أنتهى .

نعم من اعتقد أنه يعلم جميع ما استأثر الله بعلمه فهو كافر لا محالة ، وقد وردت النصوص المتظافرة الدالة على علم الموتى وسؤالهم فى القبر ونعيمهم وتعذيبهم وتزاورهم وندب زيارتهم والسلام عليهم وخطابهم خطاب الحاضرين العاقلين وعلمهم أحوال الدنيا وأنهم يُسرون ببعضها ويساءون ببعضها وأنه يؤذيهم ما يؤذى الحى وغير ذلك مما

= وسلم « ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال« لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتى الدجال » رواه أبو داود فى كتاب الجهاد باب فى الغزو مع أئمة الجور [٣ : ١٨] وروى الطبرانى ١٢ / ٢٧٢ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: « كفو عن أهل لا إله الا الله لا تكفروهم بذنب ، فمن كفّر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب » .

إذاً فإخراج المسلمين من الإسلام بشبهة ليست الذنب الصريح ولا العمل المعتقد كما يفعله المتفلسفون فليس من دين الله تعالى على الإطلاق ، إنما هو التعصب والغل على أهل القبلة باسم التوحيد والسنة . =

يطول ذكره ولا يمكن استقصاؤه .

وفى هذا القدر كفاية لمن أذعن وسلم ، والله تعالى بحال أوليائه أعلم ، والحمد الله على الإتمام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

تمت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد كاتبها أفقر العباد وأحوجهم إلى الملك الوهاب ، الفقير عرفة خطاب ، غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهما بخير ولجميع المسلمين ولمن قرأ فيها ولمن سمعها أو ملكها .

= فى نهاية النسخة المطبوعة بعد قوله « والله تعالى بحال أوليائه أعلم قال المؤلف : وقد برزت هذه المجلة من العدم إلى الوجود بعون الله المحمود بعد أن نقّلت أطوارها فى مشيئة الأنظار وتكامل ميلادها فى مطارح الأفكار فى أوائل جمادى الثانية من سنة ١٠٩١هـ إحدى وتسعين وألف أحسن الله نقضيها وبارك لنا فى التى تليها على يد مؤلفها ومقررها الفقير فى فنون الفضلاء الحقير فى عيون النبلاء السيد أحمد بن السيد محمد الحسينى الحنفى الحموى فسح الله فى مدة من كان سببا فى كتابته ورحم الله المؤلف والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب (تم) .

فائـدة :

روى القسطلانى رضى الله عنه أنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النوم فقال : يا رسول الله هل لشاطبية أبى القاسم فائدة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من حفظها دخل الجنة ، فقال : من لا قدرة له على حفظها ؟ قال : من مات وهى فى بيته دخل الجنة هكذا رواه بعض أهل العلم[1] .

وكان الفراغ من نسخها يوم الخميس المبارك ١٣ ربيع ثانى سنة ١١٢٠هـ من الهجرة المنيفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ملك الفقير إلى الله تعالى الفقير محمد المرحومى بلداً القاطن بمصر المحروسة غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين .

---

(١) هذه الفائدة مروية أيضا عن الإمام أبى القاسم الشاطبى رضى الله تعالى عنه وهو الذى رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقام بين يديه وسلم عليه وقدم القصيدة إليه وقال ياسيدى يارسول الله : أنظر هذه القصيدة فتناولها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيده المباركة وقال : هى مباركة « من حفظها دخل الجنة. زاد القرطبى : بل من مات وهى فى بيته دخل الجنة ا.هـ من ترجمة الإمام الشاطبى فى ذيل نظم الشاطبيه المطبوع ص ١٠٣ .

فتوى شرعية

فى كرامات الأولياء

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية الأسبق رحمه الله تعالى ، والسجل المذكور طرف نجله سعادة أحمد مختار بخيت بك .

السؤال: سأل حضرة عبد الجواد سيد إبراهيم المدرس بدرب الجماميز بالقاهرة حارة السادات رقم ٤ فى ٢٤ / ٧ / ١٩٤٠م .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعى (رحمه الله تعالى) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فقد حضر لدينا بعض المتمشيخين وجرى بيننا حديث فى موضوع ؛ هل الأولياء لهم تصريف فيما يجرى

فى الكون وفى الوساطة بين الله وعباده فى قضاء حاجاتهم ؟ فأقر ذلك الأستاذ بدعوى من مقتضيات كراماتهم وخالفته فى ذلك مستدلا بأن هذا الرأى يخالف صريح القرآن ونصوص الشرع ، فإن الله تعالى يقول ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ ومعنى قربه من السائل أنه لا يحتاج فى إجابة دعواه إلى وساطة أحد من خلقه ، وإن ادعاء أن للأولياء تصريفا فى الكون يقتضى أنهم شركاؤه فيما يقدره فى خلقه والله تعالى يقول : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ إلى غير ذلك مما يقتضيه ظاهر النصوص الشرعية فما رأى فضيلتكم فى هذا الموضوع ، نرجو إيضاح هذا الموضوع الخطير مدعمين رأيكم فيه بالأدلة والبراهين لنستنير فيه بثاقب رأيكم وغزير علمكم جعلكم الله سراجا منيرا - هذا وقد زاد الأستاذ على قوله السابق أن فى القطر المصرى سبعة لهم التصريف ، وعد منهم السيد البدوى والفرغل وإمامنا الشافعى والسيدة نفيسة فهل لهذا أصل فى الدين ؟

الجواب : الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

اطلعنا على هذا السؤال ونقول : اعلم أن الله تعالى قال : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ فأنت ترى أن الله تعالى قد بين لنا أن له أولياء وأن هؤلاء الأولياء هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وبين حالهم في الدنيا فقال ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي إنهم بلغ من أمرهم في معاملاتهم وكافة شئونهم أن شيئاً مما قدر لهم لا يفوتهم ولا يحزنون على شيء قد فاتهم ؛ لأنهم يعلمون حق العلم أن كل ما قدره الله لهم وعلم أن يكون لهم لابد أن يصل إليهم فلا يفوتهم منه شيء فهم مصدقون بالقضاء والقدر: فإن فاته شيء مما يطلبه لا يحزن على فوته ؛ لاعتقاده أنه لم يقدر له ، ولو قدر له ما فاته ، كما أن ما وصل إليه إنما وصل بقضاء الله وقدره فهو واثق بالله تمام الوثوق

ولذلك وعدهم بأن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ووصفهم أيضاً بأنه يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب إيمانهم كما يشعر بذلك تعليق الحكم بإخراجهم بالإيمان الذى استفيد من الموصول والصلة .

فالولى شرعاً بمقتضى هاتين الآيتين هو من يتولى الله تعالى ويتخذه مولى له ، فيؤمن به ويتقيه ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ويتولاه الله تعالى بأن يُوفِّقَه فيخرجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم فكل مؤمن له قسط من الولاية على قدر قسطه من إشراق نور الإيمان فى قلبه وتقواه أو شرح صدره للإيمان والإسلام . وإذن فكل مؤمن ولى ، وإنما تختلف درجات الولاية على حسب اختلاف درجات التقوى ، فمن المؤمنين من يتقى الخلود فى النار بأن يكون مؤمنا عاصيا ، ومنهم من يتقى دخول النار بأن يكون مؤمنا مطيعاً لله فى كل أعماله مراقباً له تعالى فى سره وجهره معتقدا تمام الاعتقاد أن الله تعالى معه أينما كان وأنه لا يكون فى شأن ولا يعمل من عمل إلا والله معه حين يفيض فى الشأن أو العمل راجيا ثواب الله تعالى خائفا من عقابه ، وقد عرف علماء

الكلام الولى بأنه هو العارف بالله تعالى وصفاته ، المواظب على الطاعات والمجتنب للمعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات فهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد حسب الإمكان . ولذلك قال عبد السلام : صاحب الجوهرة فى الولى إنه هو من تولى الله تعالى أمره فلم يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة أو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته ، فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان وكلا المعنيين واجب تحققه حتى يكون الولى وليا عندنا فى نفس الأمر . ا.هـ. وهذا الولى بالمعنى الأخص وهو المراد من قول صاحب الجوهرة :

وأثبتن للأوليا الكرامة • ومن نفاها فانبذن كلامه

فهو الولى الذى تظهر على يديه الكرامة - وأما الولى بالمعنى الأعم فهو الذى يشمل كل مؤمن ويتحقق فيه المعنيان متى تحقق فيه الإيمان المنجى من الخلود فى النار سواء انضم معه الإيمان . والتقوى المنجيان من الدخول فى النار أم لا - بخلاف الولى بالمعنى الأخص الذى تقدم . وقال علماء الكلام : يجب الاعتقاد بأن للأولياء كرامة حال حياتهم فى

الدنيا وبعد موتهم إلى يوم القيامة . والمراد أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد الكرامة أى حقيقتها بمعنى جوازها ووقوعها لهم كما ذهب إليه جمهور أهل السنة ، ومعنى الكرامة أمر خارق للعادة ، عادة البشر غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعة مصحوبة بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم ، فتمتاز بعدم الاقتران المذكور عن المعجزة فلا تلتبس بها وينفى مقدمتها عن الإرهاص وما يظهر على يد الأنبياء قبل النبوة كتظليل الغمام لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبظهور الصلاح عما يسمى معونة كما يظهر على يد بعض العوام المسلمين تخليصا لهم من المحن والمكاره ، وبالتزام متابعة نبى .. الخ عن الخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين وتسمى - إهانة - كبصق مسيلمة الكذاب فى بئر عذبة الماء لتزداد حلاوة فصارت ملحا أجاجا وبالمصحوبية بصحيح الاعتقاد .. الخ عن الاستدراج كما خرج السحر من جهات عدة - والدليل على حقية الكرامة كما قال الحموى فى كتاب (نفحات القرب

والاتصال) نقلا عن سعد الدين التفتازانى فى شرح العقائد النسفية ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره خصوصا الأمر المشترك وأيضا الكتاب ناطق بظهورها من مريم - يعنى على القول بأنها ولية لا نبية وهو الصحيح ومن صاحب سليمان صلوات الله وسلامه عليه .ا.هـ وكذا قصة أهل الكهف . وفى رسالة السجاعى فى إثبات كرامة الأولياء مانصه :

« دليل الوقوع ماجاء فى الكتاب العزيز من قصة مريم عليها السلام وولادتها عيسى عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام من غير زوج مع كفالة زكريا لها عليه الصلاة والسلام ؛ وكان لا يدخل عليها غيره وإذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب ، وكان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف .ا.هـ على أن ما قصه الله تعالى علينا من قصة مريم قاطع فى ظهور الكرامة على يدها ، فقد قال الله تعالى فى سورة مريم إكراما لها ﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ إلى آخر ما اشتملت عليه الآيات من خوارق العادات مما لا يستطيع أحد إنكاره

وهى من الأولياء على الصحيح.

وأما الدليل على جواز وقوع الكرامات للأولياء بعد مماتهم فهو ما نقله الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب حيث قال عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم هى المانعة ، هى المنجية من عذاب القبر ، رواه الترمذى - وقال حديث غريب .ا.هـ من الحموى ومثله فى مشكاة المصابيح - وقد راجعنا الترمذى فوجدنا هذا الحديث فيه فى نسخة مطبوعة طبع بولاق وقال إنه حديث حسن غريب. وقال مُلا على القارىء شارح مشكاة المصابيح نقلا عن ابن ملك : فيه دليل على أن بعض الأموات يصدر عنه مايصدر عن الأحياء .ا.هـ. وقال الحموى عقب إيراده هذا الحديث فى كتابه المذكور آنفاً : وهذا دليل على وقوع الكرامة بعد الموت بتقريره صلى الله عليه وآله وسلم حيث أقر قراءة الميت سورة الملك وقال : هى المانعة، هى المنجية من عذاب القبر، وتقريره صلى الله عليه وآله

وسلم دليل شرعى كما تقرر فى محله من كتب الأصول .ا.هـ
وبناء على ماذكر قال العلامة التفتازانى كما نقله الحموى فى كتابه : إن ما يظهر من الخوارق بعد موت الأنبياء يكون كرامة لهم لا معجزة فمن أطلق لفظ المعجزة فقد تسمح بخلاف كرامة الولى ، إذ لم تعتبر فى حقيقتها دعوى الولاية وقصد إظهار الكرامة ، بل الولى مظهر لها إذ هى كما تقدم : الأمر الخارق للعادة ، وهو الفعل الذى لا يدخل تحت كسب العبد واختياره ، بل هو حاصل بفعل الله والولى مظهر له - أى محل لظهوره - وفى هذا الأمر لا فرق بين حياة الولى وموته .ا.هـ.

ومن ذلك تعلم أن ما ظهر من التصرفات على يد الأولياء لا يخالف صريح القرآن ؛ لأن هذا التصرف الذى ينسب للأولياء هو نوع من الكرامات وهو فعل الله وخلقه ، يظهره الله إكراماً لهم ، تارة بإلهام وتارة بمنام وتارة بدعائهم وتارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم ، بل قد يحصل من الصبى المميز ، وتارة بالتوسل إلى الله تعالى بهم فى حياتهم وبعد مماتهم مما هو محكىّ فى

القدرة الإلهية ، ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك قبل الموت وبعده نسبتهم إلى الخلق والايجاد والاستقلال بالأفعال ، فإن هذا لا يقصده مسلم ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلاً عن غيرهم ، فصرف الكلام إليه ومنعه من باب التلبيس فى الدين والتهويش على عوام الموحدين ، فلا يظن بمسلم بل ولا بعاقل توهم ذلك فضلاً عن اعتقاده ، وكيف يحكم بالكفر أو بمخالفة القرآن على من اعتقد ثبوت التصرف لهم فى حياتهم وبعد مماتهم حيث كان مرجع ذلك كله إلى قدرة الله تعالى خلقا وإيجادا إلى آخر ما أطال به الشيخ الحموى فى كتابه (نفحات القرب والاتصال) المطبوع تالياً لشفاء السقام للإمام السبكى فى المطبعة الأميرية سنة ١٣١٨هـ، فما قاله ذلك الأستاذ لحضرة السائل حق - وأما مازاده أخيرا بقوله : إن فى القطر المصرى سبعة إلى آخر ما قال ، فالتصريف الذى ينسب لهؤلاء السبعة هو عبارة عن إكرام الله تعالى لهم وإظهار خارق العادات لمن يتوسل بواحد منهم فى أى شىء من الأشياء التى تكون كرامة للولى ، وليس هذا التوسل ممنوعا أصلا لما علمت مما تقدم من أن المتوسل بالولى

إنما يطلب من الله إجابة طلبه إكراماً لهذا الولى لاعتقاده أن
هذا الولىّ أقرب منه إلى الله تعالى ، وهذا لا فرق فيه بين الحى
والميت لما تقدم من أن الفاعل هو الله تعالى ، بل إنه بعد الموت
أقرب منه حال الحياة الدنيوية ؛ لأن الروح بعد الممات غير
مشغولة بتدبير شئون البدن - وهذا لا مانع من اعتقاده بناء
على ما اشتهر عن هؤلاء السبعة من إكرام الله تعالى لهم بعد
مماتهم كما يكرمهم حال حياتهم : ولكن لا يجب اعتقاد أن
فلانا بعينه ولى وأن الله أظهر الكرامة على يده ، فلم يقل
احد من العلماء بوجوبه على أحد بحيث يكفر جاحده ، بل
يجوز لكل مسلم بإجماع الأمة أن ينكر صدور أى كرامة
كانت من أى شخص كان على التعيين ولا يكون بإنكاره هذا
مخالفا لشىء من أصول الدين ، ولا مائلا عن سنة صحيحة
ولا منحرفا عن الصراط القويم فإنه لم يجىء فى الشرع إلا
أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولم يقل أحد بأنه
جاء فى الشرع زيادة على ذلك وأن فلانا بعينه ولى الله : لكن
من ينكر أن لله أولياء معينين فهذا هو المخالف للقرا
والإجماع أهل السنة وأما التوسط فى قضاء الحوائج فإليك

ما كتبناه فى مقدمة شفاء السقام للإمام السبكى وها هو نصه ص ١٤ (وكما جاز أن يتوسط حى فى قضاء مصلحة حى أو ميت والفعل لله وحده يجوز أن يتوسط روح ميت فى قضاء مصلحة حى أو ميت والفعل لله وحده ، والأرواح باقية على الحياة وأفعالها فى عالم الملك إنما تظهر بواسطة البدن بالحياة الحيوانية فإذا مات وفقد الحياة الحيوانية بقيت نفسه وروحه على حياتها الملكوتية وتعلقت بجسمه تعلقا آخر على وجه آخر يعلمه الله تعالى كما دل عليه نعيم القبر وعذابه ، فإذا كان الفعل فى الواقع ونفس الأمر إنما هو للنفس والروح والجسم آله يظهر بها الفعل ، والروح باقية خالدة ، ففعلها باق وتصرفها فى أفعالها لا يتغير إلا بعدم ظهور الأفعال بواسطة البدن ، فلا مانع عقلا أن يكون بعض أرواح الأولياء والصالحين بعد موت الأجساد سببا بدعائها وتوجهها إلى الله تعالى فى قضاء حوائج بعض الزائرين لهم المتوسلين بهم بدون أن يكون لها مدخل فى التأثير - وأى فرق بين التوسط بالأحياء فى قضاء الحوائج مع الاعتقاد أن لا فاعل أى لا خالق للفعل غير الله وبين توسط أرواح الأموات فى اعتقاد ذلك ؟

والقول بأن ملوك الدنيا إنما يحتاجون إلى الوسائط لجواز الغفلة عليهم عن حوائج الناس بخلاف العليم الخبير ، سفسطة ظاهرة ، وتمويه على العقول ، فإن الملك ووسائطه واسطة فى قضاء حوائج الطالب من الله تعالى أن لا فاعل سواه فلو كان اتخاذ الواسطة شركا بعد اعتقاد أن المؤثر هو الله تعالى وحده لكانت معاونة بعضنا بعضا فى قضاء المصالح شركا - وهذا باطل بالضرورة ؛ لما يترتب عليه من بطلان الشرائع وفساد نظام العالم وعدم نسبة الأفعال الاختيارية إلى فاعليها فتبطل الحدود والزواجر ويختل النظام ، فعليك بالإنصاف .

قال المناوى فى شرح عينية ابن سينا فى النفس : قال الناظم فى كتاب زيارة القبور : (تعلق النفس بالبدن عظيم جدا حتى أنها بعد المفارقة تشتاق وتلتفت إلى الأجزاء البدنية المدفونة ، فإذا زار إنسان قبر آخر وتغاضى عن العلائق الجسمانية والعلائق الطبيعية توجهت نفسه إلى العالم العقلى فتواجه نفسه نفس الميت وتحصل منهما المقابلة كما فى المرآتين فيرتسم فيها صورة عقلية بطريقة الانعكاس

ويحصل لها بذلك كمال .ا.هـ) وبعد أن نقلنا عن الغزالى وابن حجر ما يتعلق بذلك قلنا : فانظر إلى ما نقلنا من كلام حجة الإسلام الغزالى وكلام ابن حجر لتعلم أن ما كتبوه ونشروه فى بعض الجرائد منسوبا إلي هذين الإمامين قد حرفه عن مواضعه الذين كتبوه ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾. ألم يعلموا أن زيارة القبور تارة يقصد بها الموعظة بالأموات وهذه تعم جميع القبور والأموات وتارة يقصد بها الاستمداد والتبرك بالمزور- وهذا يختص بالأنبياء والأولياء والصالحين ؟ ألم يعلموا أن الإنسان يتأثر بتصوراته وأن نفسه تحت قهر سلطان الوهم ؟ فكم من إنسان تحقق أن سيقتل لا محالة فتصور الموت واقعا به فمات بسبب ذلك قبل أن يقتل - كذلك إذا زار الإنسان مشهد الحسين رضى الله تعالى عنه واعتقد أنه بمكان طاهر بين يدى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استولى عليه الخشوع والخضوع وامتلأ قلبه إخلاصا فيدعو الله مخلصا موقنا بالإجابة خصوصا إذا اعتقد أن روح الحسين رضى الله عنه تسأل الله تعالى إجابة دعاء زائره أليس ذلك سببا

فى إجابة الدعاء وقضاء حوائح الزائرين المخلصين والله هو المؤثر؟ ولا نرى مسلما ولو عاميا يتوهم فضلا عن أن يعتقد لله شريكا فى خلقه ، فمهما اعتقد الزائر أن المزور أطهر منه روحا وأصفى نفسا بما أعطاه الله تعالى من الكمال الإنسانى وإن كان العوام لا يستطيعون التعبير عما تكنه صدورهم من حسن العقيدة وكمال الإيمان (اللهم إيمانا كإيمان العجائز) فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟

كلمة فضيلة الشيخ الدجوى
فى التحذير من المجازفة بالتكفير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه

أما بعد ..

فإن التكفير أمر كبير لا يصح لمسلم يشفق على دينه أن يقدم عليه خصوصا للمستدلين أو المتأولين وإنى لا أدرى كيف يكفرون من يقول إن الله خالق كل شىء وبيده ملكوت كل شىء وإليه يرجع الأمر كله والمتوسل ناطق بهذا فى توسله فإن المتوسل إلى الله تعالى بأحد الأصفياء قائل إنه لا فاعل إلا الله ولم ينسب إلى من توسل به فعلا ولا خلقا وإنما أثبت له القربة والمنزلة عند الله تعالى وهى ثابتة لا شك فيها وبها يشفع صلى الله عليه وآله وسلم للخلائق يوم القيامة وبهذا الاعتقاد الراسخ الذى يكاد أن يكون فطريا فى النفوس كلها ذهبت الخلائق يوم القيامة إلى الأنبياء والمرسلين

ليشفعوا لهم عند الله تعالى على أن المؤمن قد خرج[1].
بمقتضى إيمانه بأن الله ليس له شريك وأن لا إله إلا هو حتى أننا لو رأيناه أسند شيئا لغير الله عز وجل علمنا بمقتضى إيمانه أنه من الإسناد المجازى لا الحقيقى وقد قررنا ذلك فى نحو قوله (أنبت الربيع البقل) وفرقنا بين صدوره من المؤمن وصدوره من الكافر فالمستغيث لا يعتقد أن المستغاث به من الخلق مستقل فى أمر من الأمور غير مستمد من الله تعالى أو راجع إليه وذلك شيء مفروغ منه ولا فرق فى ذلك بين الأحياء والأموت فإن الله خالق كل شيء ولا تأثير عندنا لشيء فى شيء بنفسه فهذا هو ماعليه جماعة أهل الحق وقد قال تعالى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ قال تعالى : ﴿ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ .. الخ ما فى الكتاب والسنة وهو كثير فى لسان الشرع ومعروف فى

---

(١) قوله قد خرج بمقتضي يكتب بينهما من تلك الوساوس كلها فيصير النظم قد خرج من تلك الوساوس كلها بمقتضي .. الخ

بديهة الفطر وأعجب العجب أنهم لا يتحاشون الإسناد إلى الجمادات ولا يمتعضون منه فيقولون أرواني الماء وأشبعني الخبز ونفعني الدواء فإذا سمعوا مثل ذلك الإسناد إلى النبي صلى الله عليه وسلم قامت قيامتهم وتبجح سفهاؤهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأننا نسألهم - وهم أكثر الناس تراميا على الناس - هل تعتقدون أن من تسألونه في قضاء حاجاتكم خالق مع الله مستقل فإذا اعتقدتم ذلك كنتم أولى بالإشراك، وإن قلتم إننا نذهب إليه ونسند له الفعل والإعطاء والمنع على سبيل المجاز والتسبب فإن الله جعله من الأسباب التي يجري عندها الخير ويخلقه قلنا لكم إننا كذلك فلا فرق بيننا وبينكم وإن فرقتم بين الأحياء والأموات قلنا لا فرق فإن الفاعل في الكل هو الله تعالى لا الحي ولا الميت وإذا كان التوسل في الحقيقة بمنزلة المتوسل به عند الله تعالى والفاعل هو الله عز وجل لم يكن هناك معنى للتفرقة بين الحي والميت فإن منزلته ميتا كمنزلته حيا على أن تلك التفرقة لا ينبغي صدورها من مؤمن فضلا عن عالم فإن الأرواح بعد موتها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه

فى حياتها أو أشد ولذلك يتساءلون عن الأحياء ويفرحون ويحزنون بما يكون منهم ويدعون لهم إلى آخر ماجاء فى السنة وقد دعى آدم عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج وقد شرع لنا أن نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد فى قولنا « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ونخاطب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى كل صلاة بقولنا « السلام عليك أيها النبى » وتعرض أعمالنا عليه صلى الله عليه وآله وسلم فإن وجد خيرا حمد الله وإن وجد غير ذلك استغفر لنا بل تعرض أعمالنا على آبائنا وأهلينا كما جاء فى السنة وقد رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم موسى عليه السلام يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة وراجعه صلى الله عليه وآله وسلم فى أمر الصلاة وذكر له حال أمته وقد بلغنا صلى الله عليه وآله وسلم عن إبراهيم عليه السلام وقد اجتمعت الأنبياء فى بيت المقدس ليلة المعراج وخطبوا وقالواو فعلوا ورأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم موسى يلبى فى الحج وغيره من الأنبياء وسمع بعض الصحابة ذلك الميت الذى ضرب خباءه على قبره يقرأ القرآن . الخ ، ما جاء فى

السنة الغراء وقد أثبت ابن تيمية وهو مرجعهم الوحيد ومؤسس مذهبهم كرامات الأولياء فى كتبه - وإن كان يتناقض كثيرا والمبطل لابد له من التناقض - ولكنه كان عالما كبيرا لا يتخبط تخبط هؤلاء ولا يجهل جهلهم وإن كان قد طغى به علمه وعلت عليه أنانيته فأوقعته فيما وقع فيه رحمه الله وكذلك ابن القيم وهو من أئمتهم أثبت فى «كتابه الروح» أن الروح القوية كروح أبى بكر رضى الله تعالى عنه ربما هزمت جيشا إلى آخر ماقال وكذلك الشوكانى وهو من أئمتهم أيضا أثبت جواز التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم بل بغيره من الأولياء والعلماء ورد على ممن قال بقصر الجواز عليه صلى الله عليه وآله وسلم فإن المدرك فيه واحد وهو مزية التوسل به وقربة ومنزلة عندالله تعالى وإن كان الشوكانى متناقضا أيضا وغالطا فى التطبيق والمبطل كما قلنا لابد أن يغلط ويتناقض وكذلك الألوسى وهو ممن ينتسب إليهم قرر أن الأرواح الشريفة لها تصرف فى هذا العالم موافقا فى ذلك للفخر الرازى وغيره فى قوله تعالى : ﴿ والمدبرات أمرا ﴾ (على ما أظن) وعلى كل حال فلا يتم مذهب الوهابيين إلا

إذا أثبتوا أن من نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو توسل به قد جعله إلها مع الله فإن قالوا: إن ذلك من لوازم النداء والاستغاثة قلنا لهم إنكم إذا أول المشركين وأكبر الضالين فإنكم أكثر الناس استغاثه بالمخلوق وقد قلنا ذلك إلزاما ليجعلوا الإيمان قرينة على مايصدر من المؤمن وليس يتم لهم مذهب أيضا إلا إذا قالوا إن الأرواح قد فنيت بالموت وكذبوا الكتاب والسنة التى أثبتت الحياة للأرواح كلها (حتى أرواح الكفار) كما فى حديث القليب وغيره أو قالوا إنها باقية لكن ضاعت منزلتها عند الله تعالى أو لا تستطيع أن تدعو الله تعالى فى أمر من الأمور أو سلبت منها قوتها وجميع مواهبها فلا يمكنها أن تعمل شيئا وكذبوا بذلك صرائح ماجاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والسلف الصالح اتباعا لوساوسهم فإذا قالوا ذلك وخالفوا المعقول والمنقول كانوا أجهل الجاهلين وأضل الضالين ولسنا نضل معهم القول فى هذه العجالة بأكثر من هذا وإنا والله نحب أن يكون المؤمنون إخوة كالبنيان يشد بعضه بعضا قائلين ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ

فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

أسأل الله أن يزيل الشحناء والبغضاء التى تحلق الدين من قلوب المسلمين وأن يرشد إخواننا الوهابيين إلى ما فيه الخير والهدى وأن لا يجعلهم فتنة للناس إنه سميع قريب مجيب .

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء بالازهر الشريف

كلمة الشيخ الدجوى

رأينا تتميما للفائدة أن ننقل كلمة وجيزة دبجها يراع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوى وقد نشرتها الأهرام فى ٩ يوليو سنة ١٩٢٣ وهاك نصها.

كلمة وجيزة
فى تصرف الاولياء

قرأت بأهرام اليوم (٩ يوليه) سؤالا موجها للعلماء يقول سائله إن خطيب مسجد بالدبابيه بجهة بركة السبع قال على المنبر [إن الله سبحانه وتعالى أعطى السيد البدوى حق التصرف بملكه العزيز] فقاطعه أستاذ آخر قائلا له طبقا لشريعة الإسلام ليس لله شريك فترتب على ذلك تأخير الصلاة بضع دقائق حصل فى خلالها نزاع بين المصلين إلى آخر ماجاء بالسؤال . ثم طلب حضرته من العلماء القول

الفصل فى ذلك ، وقد جاءنى خطاب من بعض أهل تلك الجهة منذ أيام فأحلته على بعض الفضلاء ليجيب عنه على صفحات الصحف كما طلب صاحب الخطاب الكلمة الذى لا أذكر اسمه الآن . فلما قرأت ما قرأت على صفحات الأهرام علمت أن الأستاذ الذى حول إليه السؤال لم يجب عنه فبادرت بكلمتى تلك الموجزة معتذرا لحضرة السائل الأول . أما الخطيب فإنه كما يقول السائل الأول والثانى فهو جاهل جهلا كبيرا . وإن كان حسن النية معروفا بالدين (وأظنه كذلك) كان من أصدقاء الشريعة الجهلاء . وعدو عاقل خير من صديق جاهل ، أما مسألة الأولياء فالناس فيها على طرفى نقيض من الإفراط والتفريط والأمر فيها واضح جدا لدى أرباب البصر فى الدين ، والرسوخ فى العلم لا يحتاج إلى تلك الطنطنة الكبرى متى حسن التفاهم وغلب الإنصاف ولكن أنى لنا بذلك والإنسان هو الإنسان ليست مسألة الأولياء إلا كغيرها من المسائل المشاهدة التى لا يختلف فيها اثنان ، فإن التفاوت بين الأرواح بمنزلة التفاوت بين الأجسام فكما خلق الله الأجسام متفاوته تفاوتا كبيرا فيما بينها ،

فمنها القوى والأقوى والضعيف والأضعف ـ سنة الله فى الاشياء كلها ـ كذلك الأرواح متفاوته ذلك التفاوت أو أشد . ولها مقويات ومضعفات كالأجسام سواء بسواء . وفى بعضها قصور جبلى لا يمكن زواله ـ فتكون بمنزلة الجسم الذى خلق ناقصا أو فاقدا لبعض الحواس . ومنها ما يكون ضعفه عرضيا يمكن علاجه فيكون كالجسم الذى يطرأ عليه آفة تستطيع الأطباء أن تعالجها . وللأرواح نواميس معروفة عند أهلها وقد أسسها الأنبياء والمرسلون وتبعهم العلماء العاملون فلهم فى ذلك من الأصول والقوانين التى تحفظ للأرواح صحتها وتعيدها إليها إذا فقدتها . مالأطباء الجسوم من قانون الحمية ومعالجة الأمراض . فإذا قلنا إن للروح القوية بطبعها أو التى تقوت باستعمال الأدوية التى وصفها أطباء الأرواح وهم الأنبياء أفاعيل كبيرة لا تقوى عليها الأرواح الضعيفة كان ذلك بمنزلة الجسم الضعيف ، وللأرواح أفعال لها نواميس أخرى ليست كنواميس المادة ويقرب هذا لك أن الحاسد يؤثر فى المحسود من غير ملامسة ولا مجاورة ؛ لأن هذا التأثير نفسانى لا جثمانى .وللحاسد نفس قوية إلا

أنهاشريرة لاخيرة والفعل فى كل ذلك لله تعالى وإنما الأجسام والأرواح مظاهر لما أودعه الله فيها من الخصائص والقوى المختلفة على حسب ما اقتضته حكمته فليست إلا بمنزلة الآلات التى اقتضى رأى صاحبها ان يجعل بعضها صغيراً وبعضهاكبيرا . وبعضها قويا وبعضها ضعيفا فإذا أظهرت تلك الآلات مقتضياتها التى أرادها منها فلا يقال إنها شاركت مخترعها ومالكها .فلو فرضنا أن هذا المخترع أمكنه أن يمتعها بإرادة واختيار لكانت هى الإنسان بعينه ولم يكن لها معه أدنى شركة ، وإنما هى مظاهر تامة أو ناقصة لقدرته وعلمه وبديع صنعه تظهر من خصائصها أو نقول من دلائل قدرته على قدر ما أراد منها وهى بعد فى تصرفه إن شاء أبقاها . وإن شاء أفناها وإن شاء أحاطها بالموانع وإن شاء أمدها بالقوى المختلفة . .الخ ، فكيف تعقل الشركة مع ذلك كله؟ وأى فرق بعد هذا التقرير بين الأجسام والأرواح؟ ولماذا يكون هذا شركا دون ذاك أليست هذه سنة الله فى جميع الاشياء؟ لم يخلقها فى مستوى واحد ولا على درجة واحدة لتكون مزايا مختلفة تمثل إبداعه الذى لا يحيط به

محيط وهى تحت قدرته يعطيها ماشاء ويسلبها ذلك إن شاء ، لعمر الحق إن الحقائق التى جاءت بها الشرائع واضحة لامرية فيها. ولكن ضل الناس فى فهمها إلا من أعطاهم الله بصرًا نفاذًا وقلبًا مستنيرًا وقليل ماهم. ثم نقول من وجه آخر إن الفعل لله تعالى وليس دعاء الناس عندالله بمنزلة واحدة فمنه المقبول ومنه المردود على قدر ما لهم من ميراث النبوة وعلى حسب حالهم فيما بينهم وبين الله تعالى. فلاغرو أن يجيب بعضا ويرد بعضا والإنسان على الحقيقة إنما هو الروح فالناس بعد الموت لم يفقدوا إلا أجسامهم التى إذا نظر إليها من حيث هى أجسام كانت جمادا صرفا فلسنا نيأس ممن سبقنا بالموت (كما يئس الكفار من أصحاب القبور).

هذا وليعلم أن أفاعيل الأرواح مما أثبته الملل كلها ، ولأهل الهند فى ذلك أشياء كثيرة من الرياضات والأعاجيب ، وقد ذكرتها الفلسفة القديمة بتوسع كبير وللمذهب الروحانى أنصار كثيرون بأوروبا وأمريكا بالرغم عن المادية التى لم تشع فى عصر من العصور شيوعها الآن .

أما الروحانيون الكاملون من أولياء المسلمين وأكابرهم فلا يضارعهم غيرهم من الأمم الأخرى لاقوة ولا كثرة ، وعندنا من المشاهدات ورواية الثقات مالا يحصيه إلا الله تعالى وفى كتب الصحيح على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعهد الصحابة ومن بعدهم شيء كثير من ذلك فالمسألة لا ينكرها الدين ولا العلم ولا الفلسفة وليس فيها من الشركة شيء ، ولكن جهل الجاهلون فكثر المتفيهقون ودب فينا داء الأمم قبلنا فتقاتلنا على الفتيل والنقير ، ولو فهمنا لوجهنا جهودنا إلى ماهو أهم من هذا فى ديننا ودنيانا .

وفكرك فى مدى أمر كبير

كفكرك فى مدى أمر حقير

ورب صغيرة ضيعت فيها

زمانا كان ينفع فى الكبير

وإن للعامة ما يليق بهم ، وللخاصة ماهو جدير بهم ، وقد قال بعض الحكماء : « لا يصلح الرجل إلا إذا ترك مالا يعنيه واشتغل بما يعنيه فإذا فعل ذلك أوشك أن يفتح له

قلبه ». فرحم الله امرءا عرف قدره وأقبل على شأنه ، وترك كل موضوع للمبرزين فيه حتى لا يكون لفرد من أفراد الأمة صورة شوهاء بدخوله فيما لا يحسنه وكلامه فيما لا يعنيه ، فإذا فعل ذلك ولم يتكلم فى الأشياء إلا ذووها كان للأمة صورة كلها جمال وكمال ، هذا ما حضرنى فى الوقت والمنصف يكفيه القليل، والمعاند لا ينفعه الكثير ..

أهرام ١١ يوليه سنة ١٩٢٣م

رقم الإيداع
٢٠٠٣/١٤٧١١
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 5259 - 71 - 1

الفهرس

الصفحة	الموضوع